

حياتنا

مجلة المرأة العربية في العلوم والتكنولوجيا

الفنانة عزة فهمي المرأة أمينة على التراث



مجلة فصلية تصدر عن الشبكة العربية للمرأة في العلوم والتكنولوجيا بالتعاون مع برنامج دراسات المرأة والتحول الاجتماعي بمكتبة الإسكندرية.

العدد ١٠ - ديسمبر ٢٠٢٥

مجلة «هيبتيا» تصدر عن مكتبة الإسكندرية بالتعاون مع الشبكة العربية للمرأة في العلوم والتكنولوجيا.



محتويات العدد:

رسالة «هيبتيا»

فعاليات ومؤتمرات

- «سر الصنعة» برنامج لتمكين المرأة وترسيخ الحرف التراثية في بيت السناري
- مكتبة الإسكندرية: دور أصيل لحواء في الحفاظ على الوثائق التاريخية والمخطوطات
- المرأة في تراث العلوم والفنون.. محاولة لإعادة فهم أدوار النساء في إنتاج المعرفة

شخصية العدد

- عزة فهمي: الحلي ليست مجرد زينة بل هي لغة ثقافية حاملة

ملف العدد: «الصناعات التراثية في عصر التكنولوجيا»

- آية عزت: «دورة عزة فهمي» فارقة في حياتي
- ريم بن كرم: تعيد تصميم الحرف التقليدية بمواد مستدامة
- نتالي الطحان: مقاومة الاحتلال بالأثواب التقليدية الفلسطينية
- ليلى غالب: تطويع الليزر لصناعة قطع أثاث فنية
- مونيكا حنا: نحافظ على الآثار بالمسح ثلاثي الأبعاد للمعالم التراثية
- فن النسيج.. من النول اليدوي إلى الذكي
- هدى بقال: استخدام الواقع المعزز في عرض القطع التراثية

حوار العدد

- نهلة إمام: التراث الثقافي غير المادي يسكن داخلنا

مقالات الرأي

- «الخوارزميات» تعيد الاعتبار لليد، د. إيهاب خليفة
- المرأة الأندلسية ومكانتها على الأصعدة العلمية والأدبية والفنية، أ.د. أحمد محمود دقماق
- المرأة في الوثائق القبطية المبكرة.. بين السيادة الاقتصادية والريادة الروحية، د. رويدا أبو بكر محمد

ملهفات عبر التاريخ

- «بليقيس الثانية» الملكة الحرة: سيدة بنت أحمد.. أول ملكة في التاريخ الإسلامي، د. محمد حمدي

الإشراف العام

أ. د. أحمد عبد الله زايد
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس الشبكة العربية للمرأة
في العلوم والتكنولوجيا
أ. د. ربيعة عباس

مستشار التحرير
علاء عبد الهادي

رئيس قطاع البحث الأكاديمي
د. مروة الوكيل

المشرف على برنامج دراسات
المرأة والتحول الاجتماعي
رانيا نوفل

تحرير
أمنية الجميل

إدارة النشر

المراجعة اللغوية
رانيا يونس

معالجة النصوص
صفاء الديب

الإشراف الفني
جيهان أبو النجا

التصميم والإخراج الفني
آمال عزت



رسالة «هيباتيا»

حواء وتقنيات الحفاظ على التراث

المرأة أمينة على التراث وعلومه

أو المحو. حتى تقنية الطباعة ثلاثية الأبعاد، يمكن توظيفها في إعادة إنتاج القطع التراثية التي لم تعد موجودة. ويمكن توظيف تقنية «الواقع المعزز»؛ حيث يمكن لزائر المتحف أو المعرض أن يرى كيف كانت تُصنَّع الحرف أو تُستخدَم في الماضي.

المرأة بحكم تكوينها تجنح لفنون التراث وعلوم الحفاظ عليه، وعلى صفحات العدد سوف تجد مثلاً رصداً لتجربة الفنانة المصرية العالمية عزة فهري التي نجحت في أن تصنع من الحلي الشعبية المصرية «برانداً عالمياً» تتزين به النساء ليس في مصر، ولا العالم العربي فقط، بل على مستوى العالم، هذا الأمر لم يأت من فراغ، ولكن جاء بتوظيف أحدث تقنيات العصر في الحفاظ على روح الفن التراثي، وتطويعه بما لا يخل بخصائصه وتفردّه، كما نتعرض لعدد من التجارب التي أكدت أن الحفاظ على التراث؛ حرفه وفنونه، يحتاج إلى علماء من العيار الثقيل، وهو مجال برعت فيه وتميزت المرأة العربية عن جدارة.

علاء عبد الهادي

مستشار التحرير

هل هناك تعارض بين استخدام التقنيات الحديثة، والحفاظ على الفنون والحرف التراثية؟

قد يرى بعض أصحاب النظرة القاصرة في التقدم العلمي، وشيوع الرقمنة، ودخول عصر الذكاء الاصطناعي، تهديداً مباشراً لكل ما هو مرتبط بالتراث من فنون وحرف، وغيرهما. ولكن النظرة الفاحصة، تؤكد لنا أن العكس هو الصحيح؛ حيث يمكن توظيف أحدث تقنيات العصر، بما فيها «الذكاء الاصطناعي» في الحفاظ على التراث بكل صوره وأشكاله.

وعلى مدار التاريخ، كانت المرأة أمينة على الحرف والفنون التراثية، وحفظها للأجيال التالية، وتطور الأمر وأصبح علماً، لا يقل أهمية عن غيره من العلوم، ويتداخل مع غيره من العلوم المختلفة في تخصصات دقيقة وتقنية؛ حيث يمكن مثلاً استخدام تقنيات التصوير ثلاثي الأبعاد، والليزر، والواقع الافتراضي في توثيق القطع الفنية والحرفية بدقة، وهو ما يتيح أرشفتها وحمايتها من الاندثار. ليس هذا فحسب بل يمكن توظيف الذكاء الاصطناعي في تحليل الزخارف التراثية، بما يتيح إعادة إنتاج ما تعرض منها للتدمير،

«سر الصنعة»

برنامج لتمكين المرأة وترسيخ الحرف التراثية في بيت السناري



جاءت المبادرة في إطار التعاون المشترك بين برنامج دراسات المرأة والتحول الاجتماعي بمكتبة الإسكندرية، ومؤسسة حياة كريمة تحت مظلة التحالف الوطني للعمل الأهلي والتنموي، ومؤسسة عزة فهي لتنمية الصناعات الحرفية اليدوية، وبرعاية أمازون مصر.

استهدف البرنامج تمكين المرأة وبناء قدراتها في مجالات الحرف اليدوية وريادة الأعمال، عبر تدريب متخصص في صناعة الحلي بإشراف مدربين محترفين من مؤسسة عزة فهي، إلى جانب تدريب نوعي في مهارات ريادة الأعمال والتسويق الرقمي والتخطيط المالي للمشروعات الصغيرة، بما يسهم في دعم المُشاركات نحو تأسيس مشروعاتهن الصغيرة وتحقيق الاستقلال الاقتصادي.

في إطار جهود تمكين المرأة اقتصاديًا وتعزيز الحرف التراثية، نظم برنامج دراسات المرأة والتحول الاجتماعي بمكتبة الإسكندرية، بالتعاون مع مؤسسة حياة كريمة، وبرعاية أمازون مصر، برنامج التدريب الحرفي «سر الصنعة»، الذي يهدف إلى نقل الخبرات التقليدية من التراث المصري إلى صياغات حديثة تفتح آفاقاً اقتصادية للمُشاركات وتؤهلهن لسوق العمل.

لقد نُفذت فعاليات برنامج «سر الصنعة» في بيت السناري التابع لقطاع التواصل الثقافي، وعن طريق برنامج دراسات المرأة والتحول الاجتماعي التابع لقطاع البحث الأكاديمي، واستمر الـ [WI.I] برنامج تدريبي مكثف، استمر لمدة شهر كامل، وبعد نجاحه منقطع النظير تقرر تكرار المبادرة.



ومتناهية الصغر، في إطار توسيع فرص التمكين الاقتصادي وتعزيز قدرات المُشاركات في سوق العمل.

يأتي هذا الحدث ليؤكد استمرار جهود مكتبة الإسكندرية والجهات الشريكة في دعم المرأة المصرية، وإحياء الحرف التراثية الأصيلة بروح عصرية مبتكرة، ليشكل نموذجاً واضحاً لكيفية الدمج بين التراث والحرف اليدوية، والابتكار الحديث، عبر برامج متخصصة للتمكين الاقتصادي والاجتماعي.

” دعم المرأة المصرية وتطوير قدرتها على التفكير الريادي والتخطيط المستقبلي وفتح آفاق جديدة للتشغيل “

استمر التدريب لمدة شهر كامل، وجمع بين التدريب النظري والتدريب العملي، مع التركيز على دمج الحرف التراثية بالتقنيات الحديثة، بما يضمن انتقال الخبرة التقليدية إلى صياغات مبتكرة وصالحة للسوق المعاصرة.

تضمّن البرنامج: جلسات متخصصة في صناعة الحلي اليدوية التقليدية، وتدريبات في ريادة الأعمال والتسويق، تشمل: التسويق الرقمي، والتسعير، وجودة المنتج، ودراسة السوق، وتطوير قدرات المُشاركات في التفكير الريادي والتخطيط المستقبلي.

على هامش الختام، شهد بيت السناري إقامة معرض فني لمخرجات التدريب، عرضت فيه المتدربات منتجات الحلي التي تعكس مزيجاً من الأصالة والابتكار، وقد حظي المعرض بإشادة واسعة من الحضور لما عكسه من تطور مهارات المُشاركات خلال فترة التدريب.

أكدت الدكتورة مروة الوكيل، رئيس قطاع البحث الأكاديمي بمكتبة الإسكندرية، أهمية دعم المرأة المصرية عبر برامج متخصصة تفتح آفاقاً جديدة للتشغيل وريادة الأعمال. كما أبرزت الدكتورة عهد وافي، رئيس مجلس أمناء مؤسسة حياة كريمة، دور المبادرة في تعزيز التمكين الاقتصادي للفتيات والشابات ضمن جهود المؤسسة في دعم المجتمعات المحلية. وأشارت الأستاذة ياسمين الجملاوي، مدير التعليم والتنمية بمؤسسة عزة فهي، إلى أهمية الحفاظ على الحرف التراثية وتطويرها بما يتناسب مع احتياجات السوق المعاصرة.

في ختام الفعالية، أُعلن عن تنفيذ نسخة جديدة من برنامج «سر الصنعة» بالشراكة بين مكتبة الإسكندرية، ومؤسسة حياة كريمة، ومؤسسة عزة فهي، على أن تتضمن النسخة القادمة تدريباً إضافياً في ريادة الأعمال والتسويق مقدماً من جهاز تنمية المشروعات المتوسطة والصغيرة



مكتبة الإسكندرية

دور أصيل لحواء في الحفاظ على الوثائق التاريخية والمخطوطات



يؤدي مركز المخطوطات دوراً محورياً في دراسة التراث العربي والإسلامي المخطوط، عن طريق اعتماد آليات منهجية تشمل الجمع، والفهرسة، والتحقيق العلمي، والنشر الأكاديمي. وتشارك الكوادر النسائية في هذا السياق مشاركة نوعية؛ إذ تضطلع الباحثات بمهام إعداد الفهارس العلمية وفق معايير وصفية دقيقة، فضلاً عن الإسهام في تحقيق النصوص التراثية، وهو ما يتطلب امتلاك أدوات تحليلية تتصل بعلوم اللغة، والتاريخ، وفيلولوجيا النصوص. ويعكس هذا الدور انتقال المرأة إلى موقع متقدم في إنتاج المعرفة، بما يعزز من حضورها في حقل الدراسات التراثية.

تمثل مكتبة الإسكندرية إحدى أبرز المؤسسات الثقافية والمعرفية في المنطقة العربية؛ إذ تضطلع بدور استراتيجي في حفظ التراث الإنساني وصيانتها، لا سيما المخطوطات والوثائق التاريخية التي تُعدُّ وعاءاً للذاكرة الحضارية. وفي هذا الإطار، يبرز كلاً من مركز المخطوطات والمعمل الرقمي بوصفهما بُنيتين مؤسستين متكاملتين تسهمان في تحقيق أهداف الحفظ والإتاحة وفق مقاربات علمية وتقنية معاصرة. ومن داخل هذه المنظومة، يتجلى حضور المرأة بوصفه فاعلاً معرفياً ومهنياً يسهم بفاعلية في مختلف مراحل التعامل مع المادة التراثية.

وعلى صعيد البحث العلمي، تسهم المرأة في إنتاج دراسات متخصصة تتناول المخطوطات من زوايا متعددة، كما تشارك في المؤتمرات والندوات الأكاديمية، بما يعزز من حضورها في المجال العلمي المرتبط بالتراث. ولا يقتصر دورها على الإنتاج البحثي، بل يمتد إلى نقل الخبرات عن طريق التدريب والإشراف على الكوادر الناشئة، وهو ما يسهم في تحقيق الاستدامة المعرفية داخل المؤسسة.

في ضوء ما سبق، يتضح أن إسهام المرأة في مركز المخطوطات والمعمل الرقمي بمكتبة الإسكندرية يتجاوز الطابع الوظيفي إلى بُعد معرفي ومؤسسي متكامل؛ إذ تشارك بفاعلية في صون التراث وإتاحته وفق آليات حديثة تجمع بين الدقة العلمية والتطور.

”إسهامات المرأة تجاوزت الطابع الوظيفي إلى بُعد معرفي ومؤسسي، لتشارك بفاعلية في حفظ وإتاحة التراث وفق آليات حديثة تجمع بين الدقة العلمية والتطور“

وفي موازاة ذلك، يشكّل المعمل الرقمي ركيزة أساسية في جهود التحول الرقمي داخل المكتبة؛ إذ يعمل على رقمنة المجموعات الوثائقية وتحويلها إلى صيغ رقمية عالية الجودة، بما يضمن الحفاظ عليها من التدهور الفيزيائي، ويسر سبل الوصول إليها. وفي هذا المجال، تضطلع المرأة بأدوار تقنية متقدمة تشمل التصوير الرقمي، ومعالجة الصور، وإدارة البيانات الوصفية (Metadata)، فضلاً عن الإسهام في بناء وإدارة قواعد البيانات الرقمية. ويبرز هذا الحضور قدرة الكوادر النسائية على التفاعل مع التقنيات الحديثة، والمشاركة في تطوير بنى تحتية رقمية تخدم البحث العلمي.

كما يمتد إسهام المرأة إلى مجال الترميم والحفظ المادي، الذي يُعدّ من أكثر مجالات العمل دقة، نظراً إلى ارتباطه المباشر بسلامة المادة الأصلية. وتشارك المتخصصات في تطبيق تقنيات الحفظ الوقائي والعلاجي، ومعالجة مظاهر التلف الناتجة عن العوامل البيئية والزمنية، وذلك وفق أسس علمية تستند إلى معايير معتمدة في صيانة الوثائق. ويعكس هذا الدور مستوى متقدماً من التأهيل المهني، إلى جانب ما يتطلبه من مهارات تطبيقية عالية.



المرأة في تراث العلوم والفنون

محاولة لإعادة فهم أدوار النساء في إنتاج المعرفة



عكست الندوة نموذجاً معرفياً متوازناً، جمع بين عمق المحتوى العلمي وتنوع المقاربات، وبين حضور نسائي فاعل، وإسهامات رجالية واعية بأهمية إعادة النظر في السرديات التقليدية.

وأكدت أن إعادة قراءة التراث ليست استعادة للماضي فحسب، بل إعادة مساءلة للحاضر، وأن إنصاف المرأة في التاريخ لا يتحقق بالاحتفاء الرمزي، بل بالبحث العلمي الرصين القادر على كشف المسكوت عنه وإعادة إدماجه في الوعي الثقافي المعاصر

المرأة والمعرفة: من النص إلى الوثيقة

ركز أحد المحاور الأساسية على حضور المرأة في إنتاج المعرفة الدينية والعلمية، فقد قدمت الدكتورة عفاف الحناشي (دار الكتب الوطنية - تونس) دراسة كوديكولوجية تاريخية حول إسهام النساء في مصاحف القيروان، كشفت فيها عن أسماء نساء شاركن في نسخ المصاحف ووقفها وإنجازها، استناداً إلى شواهد مادية داخل المخطوطات ذاتها، بما يعيد الاعتبار لدور المرأة في تاريخ المصحف الإسلامي.

في إطار السعي إلى إعادة قراءة التراث العربي والإسلامي قراءة نقدية أكثر شمولاً، انعقدت ندوة «المرأة في التراث» بمشاركة نخبة من الباحثين والباحثات المتخصصين والمتخصصات في التاريخ، والآثار، والفنون الإسلامية، والدراسات الحضارية. وقد جاءت الندوة لتفتح مساحات جديدة لفهم أدوار المرأة في إنتاج المعرفة، وصياغة الجمال، والمشاركة في الحياة العلمية والسياسية والاجتماعية، عبر عصور تاريخية متعددة. وتميزت الندوة بتوازن واضح بين ثراء المحتوى العلمي وتنوع المشاركات؛ إذ لم تكن المرأة موضوعاً للدراسة فقط، بل كانت حاضرة أيضاً بوصفها باحثة ومحللة وصاحبة طرح معرفي، إلى جانب باحثين رجال أسهموا في تفكيك صور نمطية راسخة عن حضور النساء في التراث.

”شاركت حواء في نقل المعرفة الطبية وممارستها، وفي علوم البحر، وصناعة العطور“

حضور نسائي يعيد قراءة التاريخ من الداخل



الكشف عن أسماء نساء شاركن في نسخ المصاحف ووقفها وإنجازها

الصورة، والتمثيل، والتمثيل الثقافي

في محور الصورة والتمثيل، ناقشت الأستاذة الدكتورة هبة سعد التحولات في البصرية الثقافية للمرأة من الفن الإسلامي إلى الطوائف الحديثة. في حين قدمت الدكتورة يسرا سلامة قراءة اجتماعية وتاريخية لصورة المرأة في التصوير الفوتوغرافي في القرن التاسع عشر بمصر وفلسطين. كما قدم الأستاذ الدكتور حاتم الطحاوي دراسة عن «جزيرة النساء» في التمثيل الجغرافي الإسلامي، محللاً كيف تشكلت صورة المرأة بين الواقع والأسطورة في النصوص التراثية.

وفي السياق ذاته، ناقش الدكتور أسامة النحاس (خبير التراث - الإيسيسكو) لمحات عن دور المرأة في الحياة البحرية والأنشطة والعلوم المرتبطة بها في التراث الإسلامي، مؤكداً أن المصادر التراثية، رغم ندرتها، تحمل إشارات واضحة إلى مشاركة النساء في مجالات معرفية وعملية ارتبطت بالبحر والتجارة والعلوم التطبيقية.

كما تناول الدكتور أحمد رفاعي الإسهامات الطبية للمرأة في الغرب الإسلامي، مقدماً قراءة تاريخية تبرز حضور النساء في نقل المعرفة الطبية وممارستها.

السلطة والتمثيل السياسي في التراث

برز محور «المرأة والسلطة» في دراسات تاريخية معمقة اتخذت من الوثائق المادية والرمزية ركيزة لها؛ حيث ناقشت الأستاذة الدكتورة إيمان عرفة (جامعة القاهرة) دينار شجرة الدر باعتباره وثيقة سياسية حاسمة تؤكد شرعية امرأة اعتلت عرش الحكم. وفي السياق ذاته، استعرض الأستاذ الدكتور أحمد يوسف، والأستاذ الدكتور أسامة مختار نماذج متنوعة لنقود تعاليق النساء في العصر العثماني ونقود الملكات في العالم الإسلامي، مبرزين كيف تحولت هذه المسكوكات إلى أرشيف حي يحفظ أسماء نساء مارسن أدواراً سياسية بالغة الأهمية.

وفي قراءة موازية للسلطة من داخل القصر، قدمت الدكتورة ميساء يوسف تحليلاً لنساء القصر في ضوء منظومة «هماي وهمايون» المصوّرة، في حين ناقش الأستاذ الدكتور إبراهيم سعيد صورة المرأة في كتابات الرحالة الأوروبيين خلال العصر المملوكي، كاشفاً الفجوة بين الواقع الاجتماعي وتمثيله في المصادر الغربية. وبذلك، تعيد هذه الدراسات بناء السردية التاريخية بإنصاف، متجاوزةً التهميش في بعض المصادر التقليدية.

الفنون، والحرف، وصناعة الجمال

احتلت الفنون والصناعات التراثية مساحة واسعة من النقاش؛ إذ ناقشت الدكتورة نعمات عميرة دور المرأة في صناعة العطور في مصر العباسية، بوصفها مجالاً تداخلت فيه المعرفة العلمية والممارسة اليومية. وفي الاتجاه ذاته، تناولت الأستاذة نوره بنت إبراهيم صناعة الخوص بوصفها تراثاً بيئياً مستداماً شكلت النساء عموده الفقري.

كما قدم الأستاذ الدكتور عبد العزيز صلاح قراءة في إسهام المرأة في الفنون الإسلامية بالمغرب الأقصى، مستعرضاً نماذج تاريخية تؤكد الدور المحوري للمرأة في العمارة والفنون منذ عصر فاطمة الفهرية. وناقش الدكتور نادر غريب وزملاؤه دور المرأة في النسيج المملوكي، وتطبيق القيم الجمالية للزخارف الإسلامية.

الفنانة عزة فهمي الحلي ليست مجرد زينة بل هي لغة ثقافية كاملة

أجرى الحوار: أمنية الجميل

”دورنا ليس فقط أن نصنع حُليًا،
لكن أن نحافظ على الحرفة
للجيل الجديد“



ما التحديات الأولى التي واجهتك بصفتك امرأة تدخل مجالاً كان في بداياته حكراً على الرجال؟

في البداية كان هناك استغراب من الناس؛ لأن معظم من يعملون في هذا المجال كانوا من الرجال. لكنني ركزت على التعلم، ومع الوقت عملي هو الذي فرض احترامه، وكسبت تقدير المجتمع الحرفي.

الحلي.. تراث ثقافي

تنطلق تصاميمك دائماً من عمق التراث المصري والعربي، فكيف تختارين الرموز والنصوص التي توظفها في أعمالك؟

لا يأتي الإلهام عندي من مصدر واحد خالص. بالطبع مصر القديمة جزء أساسي من تكويني، لكن أنا أيضاً أسافر كثيراً، وأستمد إلهامي من ثقافات مختلفة: من العمارة، ومن الطبيعة، ومن قصص الناس، ومن الشعر العربي قديماً وحديثاً، ومن حضارات تعرفت إليها في رحلاتي.

كيف ترين العلاقة بين الحلي والتراث الثقافي غير المادي بوصفها حرفة ومعرفة متوارثة؟

الحلي في نظري ليست مجرد معدن أو زينة فحسب، بل هي لغة ثقافية كاملة. كل قطعة فيها حكاية، وفيها أثر للذين صنعوها قبلنا. هذه الحرفة تعلمتها من أساتذة الصاغة في خان الخليلي، ومع كل تقنية أو تفصيلة كنت أكتشف أن وراءها تاريخاً طويلاً من الخبرة والمعرفة المتراكمة. الحلي تجمع بين المهارة اليدوية والرموز الثقافية، سواء في النقوش أو الخط العربي أو حتى طرائق الصياغة نفسها. والحفاظ على هذه الحرفة، ليس فقط مجرد حفاظ على منتج جميل، لكنه حفاظ على ذاكرة وثقافة وهوية. لأجل هذا أنا مؤمنة أن دورنا ليس فقط أن نصمم قطعاً جديدة، لكن أن ننقل أيضاً هذه المعرفة إلى الأجيال القادمة، لكي تبقى هذه الحرفة حية ومستمرة.

تعلمت أسرار الحرفة على يد أساتذة الصاغة في خان الخليلي

إلى أي مدى يتحمل المصمم مسئولية الحفاظ على دلالة الرمز التراثي وعدم تفريغه من معناه؟

المصمم هو المسئول بالدرجة الأولى، فغير مقبول أن نستخدم رمزاً من غير أن نفهم أصله وسياقه، نعم الابتكار مهم، ولكن من دون أن نسطح المعنى أو نفقد الروح الأصلية للرمز.

في كل مجال من مجالات الحياة تجد هناك أسماء، تُعدُّ أعلاماً في مجالها، لا تحتاج إلى ألقاب تسبق أسماءهم، أو تعريف بنوع مهنتهم، يكفي فقط أن تقول الاسم، من هؤلاء عزة فهمي؛ مصممة الحلي التي تجاوزت المحلية، وأصبح اسمها في حد ذاته علامة عالمية. هذا النجاح لم يأت وليد صدفة، ولم يأت عبر إرث، ولكن وراءه قصة كفاح وشغف، ورغبة في المعرفة، وإصرار على تحقيق الحلم، عبر سنوات طويلة، فيها تحديات كثيرة، رحلة تُعدُّ نموذجاً لكل فتاة ولكل شاب، مفادها أن هناك فارقاً جوهرياً بين الحلم الذي يتحقق بكفاح وسعي على الأرض، وأحلام اليقظة التي تنتهي بكابوس.

مؤخراً نفذت مؤسسة عزة فهمي برنامجاً طموحاً بالاتفاق مع مكتبة الإسكندرية، لتدريب عدد ممن يردن أن يسلكن مجال تصميم الحلي عبر دورتين في بيت السناري في القاهرة. كما وقَّع مجلس الوزراء اتفاقية مماثلة تقدم في إطارها مؤسسة عزة فهمي برامج مشابهة في حديقة الفسطاط.

في السطور التالية اقتربت «هياتيا» من الفنانة عزة فهمي التي تكره لقب سيدة الأعمال، على الرغم من أن مؤسستها أنجح المؤسسات بالمعايير الاقتصادية.

كل قطعة وراءها حكاية وفيها أثر للذين صنعوها من قبلنا

حِثِّينَا عن البدايات والرحلة الشخصية، كيف بدأت رحلتك مع تصميم الحلي، وما اللحظة الفارقة التي جعلتك تختارين هذا الطريق المهني غير التقليدي؟

بدأت رحلتي عام ١٩٦٩م وأنا لا زلت أبحث عن طريقي المهني. وكنت في زيارة لمعرض القاهرة الدولي للكتاب، ووقعت عيناي على كتاب ألماني مصور عن الحلي في العصور الوسطى، تلك اللحظة غيّرت مجرى حياتي تماماً، وشعرت أن هذا هو الطريق الذي لا بد أن أسير فيه، بعدها تدرجت في خان الخليلي، على أيدي أرباب المهنة والحرفيين، الذين يعملون في ورش الحلي، ومن يومها بدأت المشوار.

كيف أسهمت خلفيتك الثقافية والبيئية التي نشأت فيها في تشكيل هويتك الفنية؟

كان لنشأتي في صعيد مصر تأثير كبير فيّ، فقد زرع والدي في وجداني حب مصر وتاريخها، وشجعتني أن أقرأ وأسافر وأتعلم. هذا الأمر جعل الهوية المصرية تبقى جزءاً أساسياً من شخصيتي.

الاستدامة وتمكين المرأة

كيف ننظرين إلى مفهوم الاستدامة في صناعة الحلي، سواءً على مستوى الخامات أو المعرفة الحرفية؟

الاستدامة عندي ليست مفهومًا جديدًا، بل هي جزء من طبيعة الحرفة ذاتها. الحلي بطبيعتها مصنوعة من خامات تعيش لسنين طويلة، وتنقل من جيل إلى جيل، وهذا في حد ذاته يمثل نوعًا من الاستدامة. أضف إلى ذلك أننا نحرص على أن نستخدم خامات بجودة عالية ونعمل عليها باحترام، ونحاول أن نقلل الهدر قدر الإمكان في أثناء عملية التصنيع.

لكن الأهم من الخامات هو المعرفة الحرفية ذاتها. فهذه الحرف فيها تقنيات وخبرات تراكمت عبر سنين طويلة، ولو لم تُنقل إلى الأجيال الجديدة يمكن أن تختفي وتندثر، لذلك أنا مؤمنة أن دورنا ليس فقط أن نصنع حليًا، لكن أن نحافظ على الحرفة ونعلمها للجيل الجديد أيضًا؛ لكي تبقى مستمرة وتتطور من غير أن تفقد جذورها.

ما دور المشروعات الحرفية في تمكين المرأة اقتصاديًا واجتماعيًا؟

أنا مؤمنة أن الحرف اليدوية يمكن أن تكون وسيلة قوية جدًا لتمكين المرأة؛ فعندما تتعلم السيدة حرفة وتعمل بيدها، تكون قادرة على الاعتماد على نفسها اقتصاديًا، وهذا يعطيها إحساسًا بالاستقلال والثقة، كما أن الحرفة تفتح فرصًا حقيقية للعمل، سواءً من البيت أو عن طريق مشروعات صغيرة.

وهذا أمر عملنا عليه عن طريق مؤسسة عزة فهي، خصوصًا في مشروعنا في أسوان، الذي ركز على تدريب السيدات والفتيات على الحرف اليدوية المرتبطة بالتراث النوبي. في البداية كان هناك تردد من بعض العائلات، ولم يكونوا متحمسين أن تعمل بناتهم في الحرف. لكن مع الوقت، لما رأوا النتائج والثقة التي اكتسبتها البنات، والدخل الذي يمكن أن يحققه، حصل تغيير كبير في التفكير، اليوم أصبح هناك دعم حقيقي من العائلات، وكثير منهم يشجعون بناتهم ويساعدوهن على أن يطورن مهارتهن ويستمررن في الحرفة.

من وجهة نظري، هذا أهم أثر للمشروعات الحرفية: إنها لا تخلق فرصًا اقتصادية فحسب، لكنها أيضًا تغير نظرة المجتمع، وتعطي للمرأة مساحة أكبر، لكي تحقق نفسها وتكون عنصرًا مؤثرًا في مجتمعها.

من واقع تجربتك، ما الذي تحتاج إليه الحرفيات اليوم ليستطعن المنافسة محليًا وعالميًا؟

من واقع تجريبي، أهم شيء هو التعليم والتدريب الحقيقي في الحرفة. فالحرفة ليست مجرد موهبة، لكنها تقنيات ومهارات لا بد من تعلمها تعلمًا صحيحًا، وتطويرها مع الوقت. لأجل ذلك، كان مهمًا عندي إنشاء The Design Studio by Azza Fahmy،

كمساحة تعليمية لتدريب جيل جديد على تصميم وصناعة الحلي، ونقل المعرفة الحرفية بطريقة منهجية.

لكن اليوم المنافسة ليست بالحرفة فقط، فالحرفيات يحتجن أيضًا إلى فهم للسوق والتصميم المعاصر، وأن يعرفن كيف يطورن عملهن من دون أن يفقدن هويتهن. لأجل ذلك، كان يوجد تعاون مع الجامعة الأمريكية بالقاهرة، لتقديم برامج تجمع بين التصميم وإدارة الأعمال والتسويق، لأن الحرفي الآن لا يحتاج إلى أن يفهم كيف يصنع القطعة فحسب، بل كيف يقدمها إلى العالم أيضًا.

في رأيي، عندما يجتمع إتقان الحرفة، والتعليم المستمر، وفهم السوق، مع الحفاظ على الهوية والتراث، حينها تستطيع الحرفيات أن ينافسن بقوة محليًا وعالميًا.

كل تفصيلة وراءها تاريخ طويل من الخبرة والمعرفة المتراكمة

العالمية والهوية

استطاعت تصاميمك الوصول إلى العالمية دون أن تفقد هويتها، كيف نجحت في تحقيق هذا التوازن؟

ركزت دائمًا على أن أكون وفية لهويتي، وفي الوقت ذاته أن أطور لغتي الخاصة. عندما يكون التصميم أصيلًا، يستطيع أن يصل إلى العالم من دون أن يفقد جذوره.

هل ترين أن السوق العالمية اليوم أكثر انفتاحًا على المنتجات ذات الطابع التراثي؟

نعم، الناس أصبحت تُقدّر الأصالة والمنتجات التي وراءها قصة ومعنى.

ما التحديات التي تواجه المصمم العربي عند تقديم منتج يحمل هوية ثقافية محلية للعالم؟

التحدي هو أن نوصّل المعنى الثقافي بصورة واضحة، وأن نحافظ على جودة قادرة على المنافسة عالميًا، دون أن نفقد هويتنا.

نقل الخبرة وبناء الأجيال الجديدة

أطلقت مبادرات وبرامج تدريبية لنقل الخبرة، كيف ترين أهمية التعليم غير الأكاديمي في مجال الحرف؟

أنا مؤمنة أن التعليم في الحرف لا بد أن يكون «عمليًا» بقدر ما هو «نظري».

فالحرفة أساسها التعلم بالممارسة، والاحتكاك المباشر بالمواد والأدوات، وليس تعليمًا نظريًا فقط، لذلك كان مهمًا عندي إنشاء The Design Studio by Azza Fahmy، كمساحة

» الحفاظ على «صناعة الحلي» حفاظ على ذاكرة وثقافة وهوية «

ما الرسالة التي تودين توجيهها إلى الفتيات العربيات الراغبات في العمل في مجالات التصميم والحرف التراثية؟

أهم شيء هو الشغف والصبر؛ فالطريق إلى تعلم الحرف والتصميم ليس طريقاً سريعاً، بل يحتاج إلى وقت للتعلم وفهم الخامات والتقنيات. لكن عندما يكون عندك شغف حقيقي، سوف تقومين بتطوير نفسك وتجدين طريقك. وبالنسبة إليّ، فإن التراث ليس مجرد شيء يرتبط بالماضي فقط، لكنه مصدر إلهام نستطيع تقديمه بطريقة معاصرة. لأجل ذلك، فنصيحتي للبنات أن يتعلمن باستمرار، ويثقن بأفكارهن، ولا يخفن أن يخترن طريقاً مختلفاً ما دمن مؤمنات به.

يتعلم فيها الطلاب تصميم وصناعة الحلي تعلمًا متكاملًا، يجمع بين الدراسة النظرية والتدريب العملي في الورشة. فعن طريق مؤسسة عزة فهي نحاول نقل الخبرة الحرفية، ونوفر فرص تدريب تساعد الشباب والحرفيين على تطوير مهاراتهم. بالنسبة إليّ، التعليم غير الأكاديمي مهم جدًا، لأنه يحافظ على المعرفة الحرفية، ويجعلها مستمرة ومواكبة للعصر.

ما الفرق بين تعلم «الصناعة» وتعلم «التصميم» في رأيك؟

التصميم والصناعة وجهان للعمل ذاته؛ فالتصميم هو الفكرة والرؤية الإبداعية التي تعطي للقطعة معناها وشخصيتها. لكن لكي تتحول الفكرة إلى قطعة حلي حقيقية، لا بد من فهم للصناعة. فالصناعة هي إتقان الأدوات والتقنيات اليدوية، وهي الأساس الذي يجعل التصميم يُنفَّذ تنفيذًا صحيحًا. فمن الممكن أن يكون لدى المصمم أفكار مميزة، لكن من غير معرفة بالحرفة لن يستطيع ترجمتها بدقة. وفي المقابل، فإن الحرفي الماهر يمكن أن ينفذ بإتقان، لكن التصميم هو الذي يخلق الهوية والابتكار. إن النجاح الحقيقي يأتي عندما يكون هناك تناغم بين التصميم والصناعة.

كيف يمكن بناء جيل جديد من المصممين يجمع بين الوعي بالتراث والقدرة على الابتكار؟

الأساس لأي ابتكار حقيقي، هو البحث، والقراءة، والسفر، مع دراسة عميقة للتراث.



آية عزت

«دورة عزة فهمي» فارقة في مسيرتي العملية

لديك الآن علامتك التجارية «أورينتال سيلفر»، ما أبرز التحديات التي واجهتك حتى أصبح اسمك معروفاً؟

بدأت العمل منذ أكثر من عشر سنوات، وكان الوضع مختلفاً تماماً عما هو عليه الآن؛ إذ لم تكن وسائل التواصل الاجتماعي متاحة كما هي اليوم، بدأت بصناعة قطع تعجب أصدقائي والمحيطين بي، ثم نفذت بعض التصاميم في الورش، وكوّنت أول مجموعة خاصة بي، وكانت تلقى إعجاباً ممن حولي. بعد ذلك بدأت في توسيع الدائرة، ونشرت أعمالتي على موقع الفيسبوك، وأنشأت مجموعة خاصة، ثم تطورت مع تطور وسائل التواصل الاجتماعي، وتعلمت التسويق الرقمي، إلى أن أصبح لدي موقع إلكتروني وحضور على مختلف المنصات.

كانت الفنون الفرعونية والإسلامية والقبطية أهم مصادر الإلهام لي

حققت نجاحاً كبيراً إلى الحد الذي أصبحت فيه صاحبة علامة تجارية، ولكن هذا لم يمنعها من الانضمام إلى برنامج سر الصنعة الذي نفذته مؤسسة الفنانة عزة فهمي بالتعاون مع مكتبة الإسكندرية في بيت السناري.

حدثنا عن بدايتك، وما الذي جعلك تحبين الفضة وتعملين في هذا المجال، وكيف تختارين تصاميمك المرتبطة بالتراث والخط العربي؟

بداية الموضوع من والدي؛ إذ كان يحب الخط العربي كثيراً، ويكتب أي شيء بخط جميل، حتى إن أصدقاءه كانوا يطلبون منه قديماً كتابة لوحات المدارس. هذا الأمر جعلني أحب الخط العربي جداً.

ومن ناحية أخرى، أنا أحب الذهب الأبيض والفضة، ولا أميل إلى الذهب الأصفر، لذلك كنت دائماً أفضل الفضة، رغم أن تصاميمها في السابق كانت محدودة جداً، وكبيرة الحجم، وغير مناسبة لذوقي. ومن هنا بدأت أفكر في دمج حب والدي للخط العربي مع حبي للإكسسوارات، وبدأت أبحث وأتعلم حتى تمكنت من تنفيذ تصاميمي بنفسني.

وما دراستك الأساسية، وكيف بدأت هذا المشوار؟

دراستي الأساسية ليست لها علاقة مباشرة بهذا المجال؛ فأنا خريجة كلية التجارة، ودرست التسويق، كما حصلت على درجة الماجستير في إدارة الأعمال من الأكاديمية العربية.

تعلمت من دراستي كيف أسوّق لنفسني، ومع حبي للتصميم رأيته في البداية مجرد هواية، فالتحقت بعدد من الدورات التدريبية عبر الإنترنت في الرسم والتصميم، إلى أن تمكنت من تكوين شخصيتي الخاصة في هذا المجال.



التكنولوجيا مهمة، لكن الحرف اليدوية ستبقى الأهم

ما نصيحتك للفتيات الراغبات في دخول هذا المجال؟ هذا المجال ليس سهلاً، والفشل جزء أساسي من طريق النجاح، لذلك لا بد من التحلي بالصبر، وتنمية الموهبة باستمرار، وعدم تقليد الآخرين، بل السعي إلى تكوين بصمة خاصة.

كيف ترين مستقبل مشروعكِ؟

أسعى إلى التوسع داخل مصر وخارجها، وافتتاح متجر فعلي إلى جانب الوجود عبر الإنترنت، وأن تصل تصاميم «أورينتال سيلفر» إلى مختلف دول العالم.

التحدي الأكبر: الموازنة بين مسؤولياتي في الأمومة ودوري في ريادة الأعمال



رغم خبرتك، فقد التحقتِ ببرنامج «سر الصنعة» بمكتبة الإسكندرية، فماذا أضاف لك ذلك؟

أنا معجبة جداً بعزة فهمي، سواءً بقصتها أو بمسيرتها الحياتية، وتقدمت للبرنامج بعد إعلان نُشرَ على موقع الفيسبوك. كان عدد المتقدمين كبيراً جداً، وقد اختيرَ عدد محدود فقط. كانت هذه التجربة فارقة بالنسبة إليّ؛ إذ تعلمت تنفيذ التصميم من الألف إلى الياء بنفسني، وأصبحت أعرف ما يمكن تنفيذه وما لا يمكن، وكيف أهيئ التصميم ليكون قابلاً للتنفيذ، وهو ما أحدث فرقاً كبيراً في عملي.

هل أثرت التكنولوجيا في صناعة الحلي؟

بالتأكيد، فقد غيّرت التكنولوجيا الكثير، وسهّلت عملية التنفيذ، ووفرت الوقت والمجهود، ولكن رغم ذلك فستظل الصناعة اليدوية هي الأهم؛ لأن اليد البشرية لا يمكن الاستغناء عنها مهما تطورت الآلات.

من أين تستمدين أفكار تصاميمكِ؟

أؤمن بأن الحياة كلها وحدات تصميم، ويمكن استلهام الأفكار من أي شيء يحيط بنا، سواءً من الفنون الفرعونية أو الإسلامية أو القبطية، فكل حضارة مليئة بالتفاصيل التي يمكن تحويلها إلى تصاميم عصرية.

ماذا عن الاستدامة في صناعة الحلي؟

أحاول دائماً إدخال خامات مختلفة إلى جانب الفضة؛ مثل الزجاج المعاد تدويره، والجلد، وحتى البلاستيك؛ وذلك بهدف الوصول إلى حلول أكثر صداقة للبيئة.

هل تعتمدين على البيع عبر الإنترنت فقط؟

لا، فمن المهم جداً أن يرى الناس المنتج على أرض الواقع، لذلك أحرص على المشاركة في معارض مثل «تراثنا»؛ لأن رؤية القطعة ولمسها يحدثان فرقاً كبيراً.

ما الصعوبات التي واجهتكِ بصفتكِ رائدة أعمال؟

كان من الصعب في البداية إدارة ورشة تضم عدداً كبيراً من العمّال، خاصة أن أغلب الصناعات من الرجال، لكن مع مرور الوقت واكتساب الخبرة استطعت تحقيق التوازن. كما أن التحدي الأكبر كان الموازنة بين دوري في الأمومة ودوري في ريادة الأعمال.

ريم بن كرم

تعيد تصميم الحرف التقليدية بمواد مستدامة

إعداد: حبيبة صلاح

على سبيل المثال، في الهند تُستخدَم مواد معينة لتصاميم الحرف اتباعاً لأساسيات الاستدامة؛ إذ يستعملون الخيزران في النسيج، لقابليته للتحلل، مما يجعله مادة ممتازة لصناعة أكثر من منتج، كما يستخدمون قشرة جوز الهند في المجوهرات والأواني وغيرها من المنتجات، بدلاً من رميها، بالإضافة إلى مواد مستدامة أخرى جمة.

مع تفاوت الحالة البيئية وتقلبها باستمرار، تبذل الدول، بجميع أفرادها، قصارى جهودها لاستبدال ما يمكن استبداله لمواد أكثر استدامة، لتضمن مستقبلاً ذا بيئة أفضل للجميع. ولم يقتصر ذلك على مجال معين، بل في جميع الأنشطة، أولها تصميم الحرف. اتجه كثير من المصممين إلى المواد المستدامة والأكثر نفعاً للبيئة، لما تقدمه من مزايا لمستخدمي المنتجات المصنوعة، وهذا الأمر طُبِّقَ وما زال يُطبَّق في أغلب أنواع الحرف.

تتضمن الاستدامة قيم الحفاظ على موارد الأرض دون إهدارها، وبسبب تستطيع الأفراد أن تستفيد بها استفادة سليمة وسلسة، ويتم ذلك عن طريق استخدام مواد غير ضارة بالبيئة، وبطريقة أخلاقية، والحد من النفقات، ويكون ذلك طبقاً للنهج المستدام الاقتصادي، والاجتماعي، والبيئي، والثقافي على النحو التالي:

- الاستدامة البيئية: استخدام مواد غير ضارة للبيئة وقابلة للتحلل الحيوي في الحرف اليدوية.
- الاستدامة الاجتماعية: اتباع ممارسات أخلاقية وعادلة.
- الاستدامة الاقتصادية: تسعير المنتجات تسعيراً مالياً مستداماً، مما يضمن استمرارية الترويج للحرفيين.
- الاستدامة الثقافية: تعزيز التراث الثقافي والحفاظ عليه بصورة مستدامة.

**ريم بن كرم تحرص
على الارتقاء بالمرأة
عن طريق تلبية قيم
الاستدامة ومعاييرها**





بسملة عرابي، رائدة أعمال وخريجة برنامج «مشواري».

» بتصاميم مستلهمة من الحضارتين الفرعونية والنوبية، بسملة عرابي تمزج الفن التراثي بالمواد صديقة البيئة «

وعلاوةً على ذلك، ففي أسوان، استطاعت شابة تُدعى بسملة عرابي -رائدة أعمال وخريجة برنامج «مشواري»- أن تعرض منتجاتها المصنوعة يدوياً بمواد صديقة للبيئة ومحلية ممزوجة بالفن التراثي، فقد رأت فرصة لاستغلال سعف النخيل في صناعة السلال والحقائب وقطع الديكور والمصابيح في شكل تصاميم مستلهمة من التراث الفرعوني والنوبي، بدلاً من حرق السعف الذي يضر البيئة جذرياً.

وفي الإمارات، استطاعت ريم بن كرم -المديرة العامة في مجلس «إرثي» للحرف المعاصرة- اتباع استراتيجيات الاستدامة في فنون الحرف للحفاظ على التراث الثقافي، عن طريق تعزيز الحرف التقليدية، وتحفيز الروابط بين مجتمع الحرف المحلي، وتوسيع نطاق الشراكات الإقليمية والمحلية والدولية؛ لضمان تحقيق مشروعات جديدة ومختلفة تتبع قيم الاستدامة. ويحرص القائمون على المجلس حرصاً شديداً على أهمية استخدام المواد المستدامة والصديقة للبيئة في الحرف اليدوية، عن طريق الجهود والبحوث المستفيضة التي يوفرها، ويحرص على الارتقاء بالمرأة عن طريق تلبية قيم الاستدامة ومعاييرها على هامش استخدام مواد صحيحة؛ للحفاظ على التراث الثقافي، ولصناعة منتجات معاصرة خلابة. وقد قدم المجلس أول نموذج لهذه الاستراتيجيات عن طريق صناعة منسوجات قابلة للتحلل وصديقة للبيئة مصنوعة من سعف النخيل، لكونه مادة مستدامة قابلة للتحلل الحيوي.

نتالي الطحان

مقاومة الاحتلال بالأثواب التقليدية الفلسطينية

يُعدُّ التطريز الرقمي خطوة مبتكرة وجديدة في مجال التطريز عمومًا، نظرًا إلى التقدم التكنولوجي الذي يواجهه العالم في الوقت الحالي؛ وهو نوع من التداخل يجمع بين الفن والتقنية والتطور. تساعد تقنيات التطريز الرقمي، والتطريز بالكمبيوتر بالأخص، على إنتاج تصاميم عالية الجودة ودقيقة في أسرع وقت، الذي بدوره يعزز من قوته الشرائية في السوق الحديثة في شتى المنتجات؛ من ضمنها الملابس، والمفروشات، والهدايا التذكارية؛ وهي منتجات شائعة تشهد طلبًا زائدًا اليوم.

يعتمد نشاط التطريز بالكمبيوتر على استخدام ماكينات تطريز إلكترونية تُدار عن طريق أنظمة رقمية وبرامج حاسوبية معينة، تساعد على تحويل التصاميم المرسومة إلى تطريزات دقيقة على الأقمشة، ويتميز بالسرعة عن التطريز اليدوي التقليدي. علاوة على ذلك، يُستعمل عدد من الماكينات المتخصصة للتطريز الرقمي باستخدام الكمبيوتر، أولها الماكينة التي تعمل بالكمبيوتر، وتتوفر في السوق بعدد متفاوت من الإبر يتراوح من إبرة واحدة إلى ١٥ إبرة، وذلك طبقًا لحجم التصميم، كما تتميز هذه الماكينات بعدة وظائف متنوعة تسهل من عملية التطريز؛ من ضمنها نظام الضم الآلي للإبر، وتقطيع الخيوط أوتوماتيكيًا، مما يساعد على توفير الوقت والحد من الهدر. يُحدّد موقع التطريز بالليزر بدقة «Laser Pointer»، مما يساعد على تنفيذ التصاميم المعقدة. وبالإضافة إلى ذلك، يُستخدم الكمبيوتر كمركز لإنتاج التصاميم لُترسل إلى الماكينة لكي تنتجها بدقة دون تغيير في الشكل، وذلك عن طريق برامج مخصصة؛ مثل Wilcom و Brother PE Design و Embird التي توفر فرصة إنشاء التصميم، ثم تحقيقه عن طريق خيوط تطريز، وترتيب ألوان محددة، وكثافة معينة للخيوط، واتجاهات تطريز دقيقة للشكل التصميمي الموجود على الكمبيوتر.

يتميز التطريز الرقمي بعدة مزايا؛ نظرًا إلى الكفاءة والدقة العالية التي يوفرها، وقد انخفضت نسبة انقطاع الخيوط إلى ٨٥٪ بفضل الدقة في عملية تقطيع الخيوط وعدد الغرز، وتضاعفت نسبة الإنتاج؛ بسبب سرعة الماكينات في تنفيذ التصاميم، وقوة تسعير مميزة للشعارات والتطريز الواقعي.



استبدل بعض المصممين بالتطريز اليدوي التقليدي الأقمشة المطبوعة رقميًا؛ لتوفير الوقت ولتخليد ثقافة كاملة لبلادهم؛ من هؤلاء نتالي الطحان؛ مصممة الأزياء الفلسطينية التي طبعت أمتارًا من الأقمشة بنقشات متنوعة في عام ٢٠١٦م مستوحاة من الأثواب الفلسطينية التقليدية، واستخدامها في تصاميم معاصرة. وقامت الطحان بذلك في مشغلها الصغير في بيت عائلتها في حي رأس العمود في القدس الشرقية المحتلة، باستخدام مقص وأمتار من القماش المطبوع وجهاز كمبيوتر محمول، وبعد جهد طويل أطلقت أول مجموعة لها في عام ٢٠١٦م. وتختلف مجموعتها عن الأثواب التقليدية الفلسطينية في اللمسات العصرية التي أضافتها بواسطة الأقمشة المطبوعة بدلًا من التطريز التقليدي الثقيل، كما استخدمت قماش الستان بسبب زيادة درجات الحرارة في الصيف، وعلى الرغم من ذلك، فقد حافظت على التراث الفلسطيني باستخدام النقشات الفلسطينية التقليدية والمشهورة.

لينا غالب

تطويع الليزر لصناعة قطع
أثاث فنية

” تصنيع بديل للخشب
التقليدي من سعف
النخيل “



أكثر من منتج؛ منها الأثاث، واللوحات، والمجوهرات الخشبية. وبالإضافة إلى ذلك، يتميز النقش الخشبي بالليزر بأكثر من خاصية؛ منها سرعة الأداء في النحت على النقيض من الأسلوب التقليدي، والحد من خطورة التلف أو التشوه على الأسطح الخشبية، والدقة في النسخ المتماثل لعرض نتائج متسقة لضمان جودة رفيعة المستوى، وإتاحة فرصة التخصيص حسب الطلب، مما يعطي فرصة للنحاتين لتلبية الطلبات الدقيقة والمحددة.

وفي خطوة مثابرة نحو الاستدامة في نحت الخشب، يحاول كثير من المبتكرين اختراع مواد جديدة ومستدامة لضمان مستقبل أفضل؛ منهم مصممة المنتجات والأثاث المصرية لينا غالب التي صنعت مادة خشبية جديدة وفريدة من عروق سعف النخيل، وهي بديل للخشب التقليدي، ويمكنها التحلل بيولوجيًا أيضًا. وعن طريق هذا المشروع، تمكنت لينا من تصميم معقد متكامل لبرنامج «تنوين» مصنوع بالكامل من ألف سعفة نخيل، بهدف استغلال سعف النخيل المتساقط غير المُستخدم في فن التصميم.

لطالما كان النحت على الخشب فنًا رفيعًا ومميزًا منذ العصور القديمة وحتى يومنا هذا؛ إذ يُستخدم لعرض مواهب النحاتين في تشكيل تصاميم معقدة ورائعة على قطعة بسيطة من الخشب لأكثر من غرض، سواءً للأثاث أو للنقش على المباني؛ مثل منابر المساجد. ولا يوجد أدنى شك في أن فن النحت على الخشب ما زال متداولًا حتى الآن، ولكن بلمسة جديدة عن طريق استخدام الليزر للنقش والنحت على الخشب.

إن استخدام الليزر للنقش الخشبي طريقة مبتكرة ومتطورة تُستعمل خصيصًا لنحت التصاميم والرسومات المعقدة نظرًا إلى دقتها، وهي وسيلة ثورية في فنون النحت تتمثل في تسليط ضوء الليزر العالي على الخشب الذي بدوره يؤدي إلى تبخيره أو صهره، ويرسم علامة محفورة وراءه، كما يمكن تحديد قوة وسرعة وتردد الليزر، وهو الأمر الذي يساعد على استغلال الليزر في نحت الأنماط المعقدة ذات التفاصيل الدقيقة. يمكن استعمال هذه الوسيلة في أي نوع من الخشب، ولا تقتصر على نوع أو حجم معين، كما تُستخدم لصناعة

مونیکا حنا

نحافظ على الآثار بالمسح ثلاثي الأبعاد للمعالم التراثية



ذكيًا في مجالات أخرى، خاصة في البناء والهندسة المعمارية والهندسة العكسية، وحتى في مجال إنفاذ القانون لتوثيق مواقع الحوادث، وكل ذلك يتم بواسطة عمليات ووظائف معقدة ودقيقة يقوم بها المسح ثلاثي الأبعاد.

تتمثل تقنية المسح الضوئي ثلاثي الأبعاد في تحليل كائن أو بيئة واقعية لاستنتاج بيانات ثلاثية الأبعاد لشكلها، ومن ثم الاستعانة بهذه البيانات لإنشاء نموذج ومجسم رقمي ثلاثي الأبعاد، ويتكون هذا النموذج على شبكة مضلعات أو سحابة نقاط المستخرجة من العينات الهندسية للكائن أو البيئة الواقعية. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تتمحور تكنولوجيا

استطاعت عالمة الآثار المصرية مونیکا حنا تأكيد طموحاتها في الحفاظ على الآثار والمعالم الأثرية المصرية عن طريق أبحاثها الأكاديمية، كما يظهر ذلك في رسالة الدكتوراه الخاصة بها التي أعدها في جامعة بيزا بإيطاليا، وتتناول استخدام تقنية المسح ثلاثي الأبعاد في الحفاظ على المقابر الموجودة حاليًا في طيبة لضمان سلامتها.

وفي محاولة لإحياء التراث والثقافات وتعزيز السياحة في ظل العصر التكنولوجي، أتت تقنية المسح ثلاثي الأبعاد لتصبح بارقة أمل ودفعة متطورة لعرض المعالم التراثية بصورة مبتكرة وخلابة. كما أن هذه التقنية تُستخدم استخدامًا



تعمل تقنيات المسح مع جميع أجهزة الاستشعار؛ الأجهزة البصرية، والصوتية، والمسح الضوئي بالليزر، والأشعة الحرارية، والزلزالية، والمسح بالرادار

مسح الليزر ثلاثي الأبعاد، لخلق نسخة طبق الأصل للقصر
محاولة في ترميمه.

مشروع دكتوراة مونیکا حنا ليس الوحيد في عالمنا العربي، ففي سوريا، يوجد أيضًا مشروع باسم ANQA، هدفه الحفاظ على المواقع التراثية المعرضة للخطر وضمان الاستدامة في عملهم، عن طريق تمكين المهنيين، وتوفير التدريب والأدوات اللازمة، للحفاظ على هذه المواقع وتوثيقها حتى بعد انتهاء المشروع؛ وهذا كله عن طريق إنشاء تسجيلات ثلاثية الأبعاد.

” تقنية المسح ثلاثي الأبعاد، بارقة أمل لعرض المعالم التراثية بصورة مبتكرة “

المسح ثلاثي الأبعاد في عدد من التقنيات المختلفة لتنفيذ وظيفتها وتكوين النموذج، وتستطيع تلك التقنيات أن تعمل مع جميع أو معظم أجهزة الاستشعار؛ من ضمنها الأجهزة البصرية، والصوتية، والمسح الضوئي بالليزر، والأشعة الحرارية، والزلزالية، والمسح بالرادار.

أنت فكرة استخدام المسح ثلاثي الأبعاد على المباني والمعالم التراثية، لتعرضها المستمر لعوامل بيئية متغيرة وغير مستقرة، ولحوادث وكوارث طبيعية مفاجئة. ومن ثم يمكن الحفاظ عليها في شكل نماذج ثلاثية الأبعاد بحالتها الأصلية دون تغير في شكلها، كما يمكن استخدام هذه النماذج في حالة تلف قطعة من المعالم أو التحف وإنشاء طباعة طبق الأصل لهذه الأجزاء. وقد استُخدمت هذه التقنية في عدة نماذج، فقد تمكنت إدارة القاهرة التاريخية بالتعاون مع معمل تكنولوجيا هندسة التشييد بجامعة القاهرة في عام ٢٠١٧م من توثيق قصر الأمير عمر طوسون في روض الفرج، عن طريق

فن النسيج

من النول اليدوي إلى الذكي



يتميز نسيج النول باستخداماته المختلفة في إنتاج شتى الصناعات والأقمشة؛ من ضمنها نسيج الستان، ونسيج الجاكارد لصناعة الأقمشة المزخرفة ذات أنماط معقدة؛ مثل الدانتيل وغيرها من الأقمشة، وذلك عن طريق استخدام عدة أدوات؛ أهمها النول وهو الجهاز الرئيسي، والمقص، وخيوط النسيج، والمكوك، والمشط، والعصا النسيجية، والمقاييس، والمساطر. ولكن لتوفير الوقت والمعدات ولمواكبة العصر، اخترع عدد من أجهزة النول الذكية التي تعمل أوتوماتيكياً أو عن طريق الكمبيوتر لإنتاج التصميم بدلاً من صناعته يدوياً، وينتج عنه تصميم دقيق ذو كفاءة عالية.

يُعدُّ فن نسيج النول من أعرق وأقدم الصناعات في العالم التي توارثت عبر الأجيال المصرية؛ إذ يُستخدم النول في تحويل الخيوط إلى نسيج عملي لصناعة الملابس والسجاد والأقمشة. ومع تفاوت الأعوام، تطور النسيج باستخدام النول، مما أدى إلى ابتكار تصاميم وأنماط معقدة وجديدة منذ اختراع منسج جاكارد على يد المخترع جوسيف ماري جاكارد -وهو الاختراع الذي بدأ فكرة النسيج أوتوماتيكياً- حتى اختراع النول الذكي في ظل التقدم التكنولوجي المستمر اليوم، ليصبح رمزاً حيّاً لاستمرار الحرفة المصرية بين التراث والابتكار.

هدى بقالى

استخدام الواقع المعزز
في عرض القطع التراثية

مُوجَّهًا له، على سبيل المثال، في الألعاب الترفيهية، استخدمت الشركات تقنية الواقع المعزز لإعطاء فرصة للمستخدمين المواكبين للصيحات الجديدة في مجال الألعاب لكي يلعبوا بعض الألعاب بطريقة واقعية باستخدام نظارات مبتكرة. واليوم استُخدم هذا الاتجاه الجديد في المتاحف؛ من ضمنها المتحف المصري الذي دمج بين الماضي والمستقبل عن طريق الواقع المعزز داخل المتحف باستخدام QR كود يكون بجانب القطعة الأثرية يمسحها الزائر بكاميرا الهاتف لإظهار معلومات وتفاصيل عن هذه القطعة؛ من ضمنها:

- تاريخ القطعة، وأين استُكشفت؟
- محاكاة رقمية تعرض كيف كانت هذه القطعة تُستخدم في ذلك الزمن.
- تفسير النصوص الهيروغليفية.
- معرفة أشهر القطع المدمجة باستخدام الواقع المعزز.

تتيح هذه الفكرة المبدعة مزايا عديدة؛ لأنها تساعد على تعزيز السياحة بصورة فائقة، عن طريق جذب عدد فائض من السياح من جميع الأعمار وخاصة الشباب، وتساعد أيضًا على إحياء التاريخ والتراث. ونتيجة لذلك تلقت هذه التقنية عددًا هائلًا من ردود الأفعال الإيجابية بين الزوار المصريين والأجانب.

قدمت الفنانة المغربية والإسبانية، متعددة التخصصات هدى بقالى، معرضًا باسم «الفن الرقمي، الثقافة الرقمية»؛ إذ دمجت الفن بالوسائل التكنولوجية الحديثة. وتمكنت بقالى من إعطاء فرصة للجماهير للاستمتاع والانغماس في العروض الفنية بالمعرض بصورة واقعية، عن طريق الواقع المعزز للتمكن من اختبار المفاهيم التي تقدمها بيئة الفن الرقمي.

ويُعدُّ الواقع المعزز نبذة حديثة في العصر التكنولوجي الحالي في عالمنا؛ لأنه تكنولوجيا متقدمة تخترق الأفق، باستخدام تقنيات محددة، تدمج بين المعالج وأجهزة الاستشعار، وأجهزة الإدخال، وشاشة العرض ونظام تحديد المواقع، الموجودة في الأجهزة الإلكترونية الحديثة. وتُستخدم هذه التقنية في شتى المجالات؛ من ضمنها مجال الطب، والتعليم، والبحث، والألعاب الترفيهية، وغيرها بأشكال مختلفة. وتُستخدم تقنية الواقع المعزز حصريًا في الفن، لكي تُعرض القطع الفنية والقطع التراثية في المتاحف، وهي خطوة مبدعة لنشر ثقافة الفن التي تعتمد عليها البلاد لإحياء حسها الفني وتراثها العريق.

يعمل الواقع المعزز على إسقاط وعرض الأجسام الافتراضية ومعلوماتها في محيط وبيئة المستخدم لتكون

الدكتورة نهلة إمام التراث الثقافي غير المادي يسكن داخلنا

أجرى الحوار: أمنية الجميل



وغالبًا ما يتم التركيز، عند الحديث عن إنجازات المرأة، على مجالات العلوم التطبيقية والتكنولوجيا، في حين يتم إغفال العلوم الاجتماعية، رغم كونها المحرك الأساسي للعديد من العلوم الأخرى، لأنها في جوهرها تهتم بالإنسان، وهو الغاية التي وُجِدَت من أجلها العلوم التطبيقية والتكنولوجيا.

التراث الثقافي غير المادي هو ما كان يُطلق عليه في ستينيات القرن الماضي «التراث الشعبي»، وذلك في ظل النزعة القومية التي سادت آنذاك في الدول العربية؛ إذ عُدَّ هذا التراث جزءًا من هوية الشعوب.

غير أن بعض الدول الغربية كانت تنظر إلى هذا النوع من التراث على أنه تراث الطبقات الدنيا أو الفلاحين فقط، وهو تصور ثبت عدم دقته مع تطور العلوم وأدوات البحث؛ إذ تبين أن التراث الثقافي غير المادي يسكن داخلنا جميعًا، على اختلاف طبقاتنا الاجتماعية ومستويات تعليمنا.

ويقابل التراث الثقافي غير المادي التراث المادي، الذي يشمل الآثار والمواقع التاريخية. أما التراث غير المادي فيشمل العادات، والمعتقدات، والفنون، والحرف التقليدية، والتعبيرات الشفهية، وما يرتبط بها من أدوات وآلات وقطع مادية، مع التركيز الأساسي على الممارسة والمهارات المرتبطة بهذه العناصر.

”أصبحت المرأة تتمتع بفرص متكافئة ومميزات إضافية“



ممثلة مصر في «اليونسكو»

مؤخرًا برز اسم الدكتورة نهلة إمام؛ أستاذة الفنون الشعبية وممثلة مصر في منظمة اليونسكو لشئون التراث الثقافي غير المادي، على الساحة الثقافية والفكرية في مصر، وارتبط اسمها بتسجيل عدد من العناصر الثقافية التراثية المصرية على القائمة العالمية للتراث اللا مادي، التي تصدرها منظمة اليونسكو، الأمر ليس جديدًا، فمصر من الدول ذات الحضارات، ومن مؤسسي منظمة اليونسكو، ولكن الجديد هذه المرة تمثل في تسجيل طبق الكشري الشعبي الذي اشتهرت به على القائمة العالمية للتراث اللا مادي، ومن هنا عرف العامة اسم الدكتورة نهلة إمام التي عينها الدكتور أحمد فؤاد هنو؛ وزير الثقافة، مساعدة له لحفظ التراث اللا مادي، لكن هذا لا يمنع أنها أشرفت على تسجيل وحفظ الكثير على القائمة ذاتها؛ مثل: السيرة الهلالية، والتحطيب، والممارسات المرتبطة بالنخلة، وفنون الخط العربي، والنسيج اليدوي في صعيد مصر، والأراجوز، والاحتفالات المرتبطة برحلة العائلة المقدسة، وفنون النقش على المعادن (النحاس والفضة والذهب).

ولأن الدكتورة نهلة إمام أستاذة بمعهد الفنون الشعبية، وممثلة مصر في منظمة اليونسكو لشئون التراث الثقافي غير المادي، فضلًا عن الإنجازات الكبيرة التي حققتها في هذا الملف، كان لا بد أن تتحاور «هيباتيا» معها للتعرف إلى مفهوم التراث الثقافي غير المادي، والإنجازات التي تحققت في هذا المجال، ورحلتها المهنية، والتحديات التي واجهتها، لتكون تجربتها مصدر إلهام للفتيات الراغبات في خوض هذا المجال.

بدايةً، نود أن نتعرف إلى رحلتكم المهنية مع التراث الثقافي غير المادي، وكيف يمكن تعريف هذا المفهوم، وما المحطات الأساسية التي شكّلت هذه الرحلة؟

في البداية، أود أن أتقدم لهيئة تحرير «هيباتيا» بجزيل الشكر على هذه الاستضافة الكريمة، وعلى هذا الاهتمام المهم بإبراز إنجازات المرأة في مجال العلوم الاجتماعية، وهو مجال حققت فيه المرأة العربية إنجازات كبيرة على المستوى البحثي والعلمي.

فقد قدمت عديد من الباحثات العربيات إسهامات علمية مهمة، وأسهمن انتماؤهن الاجتماعي بوصفهن نساءً في تمكينهن من دخول مجتمعات محلية قد لا تكون متاحة لغيرهن، بما في ذلك المجتمعات المغلقة أو المنعزلة.



”هناك بعض الدول تحاول أن تنسب إلى نفسها عناصر ثقافية ليست من تراثها الأصيل“

ويُقَسَّم التراث الثقافي غير المادي في اتفاقية اليونسكو إلى عدة مجالات؛ من بينها: التعبيرات الشفهية، والممارسات الاجتماعية، والفنون الأدائية، والحرف التقليدية، والمعارف المرتبطة بالطبيعة والكون.

وتتميز الاتفاقية بمرونتها؛ إذ تضع مجالات عامة وتترك لكل دولة حرية تصنيف عناصرها بما يتناسب مع ثقافتها، إدراكًا لتداخل العناصر التراثية وتشابكها.

وماذا عن المسيرة الأكاديمية العلمية لحضرتك؟

أنا خريجة قسم علم الاجتماع بكلية الآداب - جامعة القاهرة، وحصلت على دبلوم في الأنثروبولوجيا، ثم دبلوم آخر في الفنون الشعبية، ثم درجتَي الماجستير والدكتوراه في التراث. وقد أتاح لي هذا التكوين الأكاديمي المبكر التعمق في دراسة التراث وفهم تطور هذا العلم عالميًا، والانتقال من الدراسات التي أنجزها الأجانب إلى بناء رؤية وطنية عربية موضوعية لدراسة تراثنا.

وأؤكد هنا أن الحفاظ على التراث لا يعني تقديسه أو التمسك به لمجرد كونه تراثًا؛ فليس كل التراث جديرًا بالحفاظ عليه. فهناك عناصر تراثية سلبية؛ مثل: الثأر، أو ختان الإناث، أو حرمان المرأة من الميراث، وهي ممارسات موجودة لكنها تتعارض مع حقوق الإنسان والتنمية المستدامة، ولا يجوز تبريرها بدعوى الحفاظ على التراث. ولهذا، ترفض اليونسكو تسجيل أي عنصر يتعارض مع حقوق الإنسان أو المواثيق الدولية أو أهداف التنمية المستدامة.

”تسجيل التراث وحده لا يصونه، ولا بد من تداوله وتوظيفه في الحياة“

ويجب دائمًا النظر إلى العنصر التراثي في سياقه الاجتماعي، وفهم وظيفته ومعناه داخل المجتمع؛ إذ لا يوجد عنصر تراثي بلا وظيفة أو دلالة.

وقد صاغت منظمة اليونسكو هذا المصطلح رسميًا في اتفاقية عام ٢٠٠٣ م، التي دخلت حيز التنفيذ عام ٢٠٠٥ م، وذلك بعد أن تبين أن اتفاقية التراث العالمي لعام ١٩٧٢ م كانت تركز على تسجيل المواقع والآثار فقط، دون الالتفات إلى المجتمعات البشرية التي أبدعت هذه العناصر.

ومن اللافت أن أول دولة أثارت هذا التساؤل داخل أروقة اليونسكو كانت اليابان، رغم كونها من أكثر دول العالم تقدمًا تكنولوجياً، حين تساءلت: «وماذا عن الإنسان؟ وأين تراثه؟».

”أتمنى إعداد قوائم شاملة لعناصر التراث الثقافي غير المادي في جميع محافظات مصر، وإتاحتها رقميًا للجميع“

وقد تبين أن الاتفاقية القديمة لا تستوعب العادات والمعتقدات والفنون والحرف؛ فصيغت اتفاقية التراث الثقافي غير المادي عام ٢٠٠٣ م، التي وقّعت عليها الدول تبعًا، وكانت مصر من أوائل الدول الموقعة عليها.

واليوم بلغ عدد الدول المنضمة إلى الاتفاقية ١٨٥ دولة، وهو ما يعكس قبولًا عالميًا واسعًا لها، في حين إن قلة من الدول لم تنضم إليها لأسباب سياسية تتعلق غالبًا بحقوق الشعوب الأصلية.

وتجدر الإشارة إلى أن تسجيل عناصر مثل الأراجوز أو الكشري أو التحطيب ليس أمرًا بسيطًا، بل يعكس وعيًا عميقًا بأهمية هذا التراث، خاصة أن بعض الدول تحاول أن تنسب إلى نفسها عناصر ثقافية ليست من تراثها الأصيل.



بعيداً عن الاستسهال والتكرار، ومتى أُتيحت لها هذه المعرفة، فإنها قادرة على إنتاج مشروعات ناجحة ذات طابع عالمي.

التراث غير المادي يشمل العادات والفنون الأدائية والمعتقدات والممارسات الاجتماعية، والتعبيرات الشفهية والمعارف المرتبطة بالطبيعة والحرف التقليدية

ما الخطوة القادمة التي تتمين تحقيقها للتراث المصري على الساحة الدولية؟

أطمح إلى إعداد قوائم حصر شاملة لعناصر التراث الثقافي غير المادي في جميع محافظات مصر، وإتاحتها رقمياً للجميع، كي تصبح مصدراً مفتوحاً للإبداع وصناعة القرار والتنمية.

وأتمنى أن تصبح الثقافة المصرية عالمية، وأن يكون للتراث حضور حقيقي في حياتنا اليومية، وأن يُعرّف المنتج المصري من مظهره دون الحاجة إلى تعريف.

ما أبرز التحديات التي واجهتك شخصياً في عملك على التراث الثقافي غير المادي؟

فيما يتعلق بدور المرأة في البحث الميداني، فإن للمرأة ميزة نوعية؛ إذ تستطيع دخول عوالم مغلقة أمام الباحثين الرجال؛ مثل مجالس النساء في المجتمعات الريفية والبدوية. وقد أتاح لي ذلك حضور جلسات قضاء عرقي في سيناء، والجلوس مع شيوخ القبائل ورؤساء العشائر، بعد بناء علاقات طويلة قائمة على الثقة.

أما عن المعوقات، فقد كانت في البداية تتمثل في صعوبة اكتساب الثقة، وهو أمر يتطلب تكويناً علمياً قوياً وأخلاقيات مهنية راسخة. أما اليوم، فقد تراجعت هذه المعوقات إلى حد كبير، وأصبحت المرأة تتمتع بفرص متكافئة، بل ومميزات إضافية في بعض الأحيان.

ما الذي يميز التجربة المصرية في ملف التراث الثقافي غير المادي داخل اليونسكو؟

بدأت مصر التسجيل الجاد للعناصر منذ عام ٢٠١٠م، وتمكنت حتى اليوم من تسجيل ١١ عنصراً تراثياً، وهو رقم متقدم نسبياً وفقاً للضوابط التنظيمية للاتفاقية.

ومع ذلك، أؤكد أن تسجيل التراث وحده لا يصونه، بل إن صونه الحقيقي يكون عن طريق تداوله وإتاحته وتوظيفه في الحياة اليومية والإبداع المعاصر.

فالتراث إذا جُمع ووُثّق ووُضِع في الأدراج دون إتاحتها، يفقد قيمته الحقيقية.

اليونسكو ترفض تسجيل أي عنصر يتعارض مع حقوق الإنسان

ما الجهود الداخلية التي تربتها مهمة في سياق صون وحفظ التراث غير المادي؟

تؤدي المعارض وورش الحرف والمبادرات المجتمعية دوراً مهماً في هذا الإطار، غير أن المسؤولية الأساسية تقع على عاتق الدولة بوصفها بيت الخبرة، إلى جانب المجتمع المدني والقطاع الخاص. كما أن للتعليم والإعلام ووزارة الثقافة دوراً محورياً في ترسيخ الوعي بالتراث ونقله إلى الأجيال الجديدة.

ما المهارات الأساسية التي تحتاج إليها المرأة اليوم لتكون قائدة في مشروعات التراث والابتكار؟

تمتلك المرأة المصرية الإرادة والخيال والمثابرة، لكنها تحتاج إلى مزيد من الاطلاع والتعمق في الرموز التراثية الأصيلة،



«الخوارزميات» تعيد الاعتبار لليد



بقلم: د. إيهاب خليفة

استطاع الذكاء الاصطناعي أن ينال إعجاب كثير من البشر في فترة وجيزة للغاية بسبب القدرات الكبيرة التي بات يتمتع بها في مجالات مختلفة وصناعات متعددة، لدرجة أنه أصبح من الصعب تمييز الفنون التي رسمها الذكاء الاصطناعي من تلك التي قام بها أعظم الفنانين من البشر، لكنه أثار في الوقت ذاته مزيداً من القلق والخوف على مستقبل المهن والحرف والوظائف، فمهما امتلك البشر من قدرات لن يستطيعوا مجاراة الذكاء الاصطناعي لا في دقته ولا في سرعته.

ومع حدوث اختراقات في الذكاء الاصطناعي تكاد تكون يومية، وما يصاحبها من قلق متزايد لدى الأفراد من تهديد الوظائف، بسبب عمليات الأتمتة الفائقة، ودخول نظم الذكاء الاصطناعي الوكيل Agent AI في عمليات الإنتاج، متفوقة بذلك على الذكاء الاصطناعي التوليدي، تتنامى في الاتجاه العكسي رغبة لدى كثيرين في إعادة الاتصال بالماضي

”يتم استخدام الخوارزميات لتوسيع الانتشار، لا لتقليد الروح“

بالطبع لن يتم الاستغناء تمامًا عن الذكاء الاصطناعي، لكن قد يسهم في العمليات المساندة للإنتاج، لا في العمليات الجوهرية. أقصد بذلك أن يظل أصل الحرفة والتصميم ملكًا للبشر، فالفنان يمتلك الذوق والإحساس والقدرة على التخيل، ويستطيع أن يضع المخططات الأولى لتصميم المنتج، على أن يتولى الذكاء الاصطناعي إجراء العمليات الخارجة عليه؛ مثل تغيير الألوان والزوايا والخلفيات الخاصة بالمنتج، فيقدم بذلك عدة بدائل سريعة عن الشكل النهائي المقترح للمنتج، وقد يستخدم هذه المقترحات في اختبار الأسواق وأذواق المستهلكين قبل البداية في عمليات الإنتاج الضخم، فيقلل بذلك من استهلاك المواد الأولية، ويحدد أي مسار سوف يُسلك في عملية الإنتاج النهائي.

وبدلاً من أن يستبدل الذكاء الاصطناعي اليد التي تصنع، يستطيع أن يخفف عبء ما يلتف حولها من متطلبات تشغيلية؛ مثل إدارة الطلبات والمخزون، وجدولة الإنتاج، وكتابة الإعلانات التسويقية، وترجمة المحتوى إلى عدة لغات، وإدارة التواصل مع العملاء. وعلى مستوى الإنتاج الضخم، يستطيع أن يساعد على ضبط الجودة برصد العيوب الدقيقة، أو توثيق مراحل العمل بصرياً لإنتاج أرشيف تعليمي يرفع قيمة العمل المصاحبة للقطعة؛ كي تبقى الشخصية والخبرة إنسانية بالكامل.

والأهم أن هذه المنصات الرقمية المدعومة بالذكاء الاصطناعي تساعد الحرفيين على الوصول بمنتجاتهم إلى أسواق بعيدة، خارج حدودهم الجغرافية، وتساعد الخوارزميات الدقيقة على ترشيح أعمالهم الفنية للزبائن الباحثين عن الأصالة، فتُستخدم الخوارزميات لتوسيع الانتشار، لا لتقليد الروح. بهذه المعادلة، تصبح التقنية وسيلة لحماية الحرفة تضمن استدامتها اقتصادياً، وتمنحها مساحة للتركيز على ما لا يمكن أتمتته بالكامل، ألا وهو الحس، والخبرة، والتجربة.

وفي النهاية، فإن الهدف ليس معاداة الذكاء الاصطناعي أو التشبث بالماضي من أجل الماضي، ففي عصر تصبح فيه الفائدة الاقتصادية لأي حرفة أقصر عمراً بسبب عمليات التطوير المتسارعة، فكيف يمكن للبشر أن يصلوا إلى إتقان يحتاج إلى سنوات من الخبرة؟ وإذا كان الإنسان قد يحتاج إلى عقود لإتقان حرفة، فكيف سيحقق الجدوى الاقتصادية منها؟ الحل هو مزيج يجمع بين الخبرة الإنسانية الخالصة والتكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، فنستفيد منه في عرض التجربة الإنسانية، لا في خلقها.

التمثل في الحرف اليدوية والفنون التقليدية التي تجسد التجربة الإنسانية الخالصة. فالبريق الأنيق الذي يقدمه الذكاء الاصطناعي يبدو كأنه يفقد لمعانه حين يُقَارَن بأصالة الفنون والحرف، وكلما صار عالمنا أكثر رقميةً وأشد اعتماداً على الأتمتة، ازدادنا انهماكاً بالسلع الحرفية المصنوعة يدوياً وبالأساليب التقليدية العريقة.

قد يحدث ذلك لأننا حين نقارن مهاراتنا بقدرات الذكاء الاصطناعي تتفوق كفة الأخير، فلا ننهر بأي عمل يقوم به لأنه بالطبع سيكون أفضل، لكن حين تكون المقارنة على مستوى القدرات البشرية ببعضها، حينها ننهر بمستوى الإتقان والإبداع الذي وصل إليه أحد منّا، ومع وفرة الأعمال الرقمية التي أنتجتها الخوارزميات، قد تصبح الأعمال اليدوية والحرف بمنزلة أصول استثمارية في المستقبل القريب.

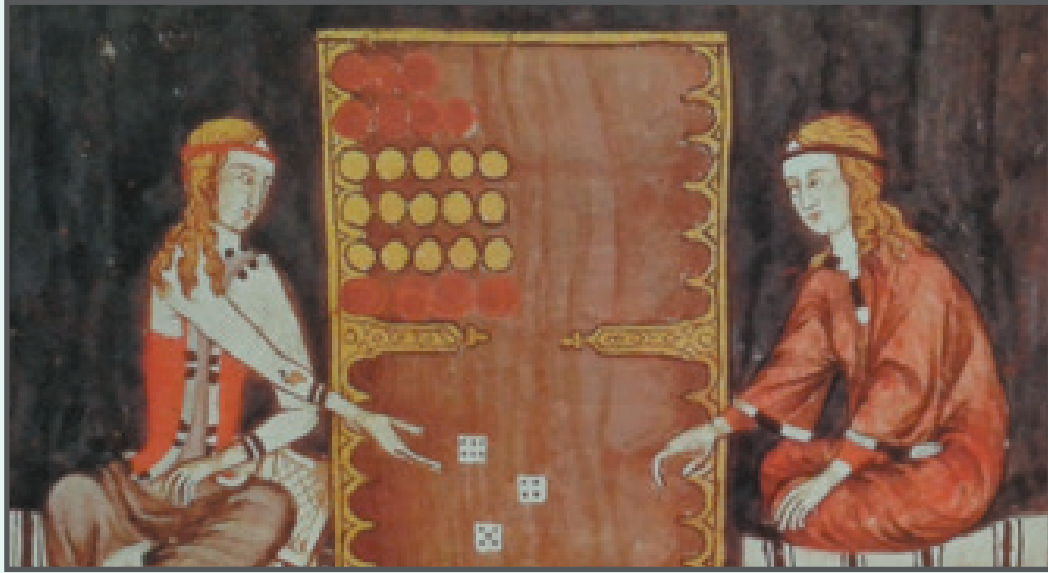
هذه الظاهرة ليست جديدة في الحقيقة، بل حدثت من قبل وفي ظروف مشابهة تماماً للظروف الحالية، حينما ظهرت «حركة الفنون والحرف» في بريطانيا في سبعينيات القرن التاسع عشر، في قلب الثورة الصناعية التي شهدتها بريطانيا. فللمرة الأولى، صار بالإمكان تصنيع أواني المائدة والمجوهرات والأثاث في المصانع وعلى نطاق واسع لم يسبق له مثيل، بأن تكون هذه الكمية من السلع متاحة بهذا القدر من السهولة لهذا العدد من الناس. ومع تدفق البضائع إلى الأسواق وتسارع التطورات التقنية، انطلقت مجموعة من الفنانين والمفكرين -يتقدمهم ويليام موريس- لإحياء الحرف التقليدية والفنون الجمالية التي تعكس الجهد البشري مستلهمة جماليات العصور الوسطى والتقنيات التقليدية. ولم يكن ذلك مجرد حنين إلى الماضي، بل كان اختياراً واعياً لمواجهة سطوة الآلات الصناعية بلمسة إنسانية.

ورغم الشكوك التي رافقت الحركة في بداياتها، فإنها بدأت تدريجياً تكتسب مؤيدين. والمفارقة أنه مع اجتياح منتجات خطوط التجميع الآلي منازل الطبقة الوسطى، أخذت أذواق النخب تميل نحو الحرف التقليدية والمنتجات اليدوية من باب التمييز عن باقي الشعب؛ فأصبح الأثاث والسجاد والمفروشات، التي تظهر فيها علامات العمل اليدوي بوضوح، سلعة شديدة الطلب رغم ارتفاع تكلفتها.

اليوم نشهد ظاهرة مشابهة، لكن بلمسة رقمية، تجمع بين أصالة الحرفة مع استخدام التكنولوجيا. ففي عصر تقوده تقنيات الذكاء الاصطناعي والطابعات ثلاثية الأبعاد؛ إذ تستطيع الخوارزميات توليد «التصاميم»، وتتولى الطابعات عملية «الإنتاج»، تظهر أهمية إدخال العنصر البشري في عملية الإنتاج حتى تكتسب رونق الأصالة البشرية وروح الإبداع الإنساني، فتتحول التكنولوجيا من عبء يهدد الحرفيين إلى أداة قادرة على توصيل منتجاتهم إلى أسواق لن يستطيعوا أن يصلوا إليها بالطرائق التقليدية.

أ.د. أحمد محمود دقماق

المرأة الأندلسية ومكانتها على الأصعدة العلمية والأدبية والفنية



تصويرتان من كتاب الألعاب، لألفونسو العالم، ١٢٨٣م، مكتبة الإسكوريال.

النساء: الطيبة، والحجامة، والسراقة، والماشطة، والمغنية، والمعلمة، والمستخدمة، والصانعات في المغزل والنسيج، وغير ذلك.

من أبرز الشخصيات النسائية التي برعت في الأدب، نجد ولادة بنت الخليفة المستكفي بالله (توفي عام ٤٨٤هـ)، التي ذاع صيتها بشعرها وبمجلسها الأدبي بقرطبة، الذي كان ملتقى الشعراء وأهل الأدب، ونزّهون بنت القليني الغرناطية، الأديبة الشاعرة، وأسماء العامرية الإشبيلية، التي كتبت للخليفة الموحيدي عبد المؤمن بن علي قصيدة مهمة، وحفصة بنت الحاج الركوني الغرناطية الأديبة.

في المجال العلمي الفلكي، نجد وصيفة شابة ذكية وكاتبة، كانت في قصر الخليفة الحكم المستنصر بالله بقرطبة، وقد عهد بها الحكم إلى أبي القاسم سليمان بن أحمد الأنصاري، المعروف بالرصافي، أن يعلمها التعديل وعلم الأسطرلاب، فأقبلت على تعلم ذلك، وأتقنته في ثلاثة أعوام بفضل ذكائها، وأعجب الحكم بها، وألزمها خدمة ما تعلمته في قصره.

تميزت المرأة الأندلسية بسمات وصفات فكرية وفنية خلاقة، إلى جانب القسط الكبير الذي تمتعت به من ناحية الجمال البشري، وانعكس صدهاء على الشعر الأندلسي، الذي صور الملامح الجمالية الفتانة التي أنعم الله سبحانه بها عليها، ولفتت انتباه عدد من الرحالة؛ كالإدريسي.

على قدر هذه المكانة الفكرية المهمة للمرأة الأندلسية، التي شكلها وزاد من قدرها إقبالها على التعليم، وتقبل المجتمع الأندلسي لذلك، وتدعيمه والتشجيع عليه، جاءت إسهاماتها في الجوانب الحياتية المختلفة، وهي كثيرة، وقد دارت بها مع الرجل في فلك الحياة. وقد أوردت المصادر أسماء عدد من النساء اللاتي برعن في المجالات الفكرية والأدبية واللغوية والعلمية والفقهية والتعليمية، والأعمال الكتابية، ونسخ المصاحف والمخطوطات بالخطوط الحسنة، والأعمال الحرفية والصناعية، فضلاً عن المشاركة الإبداعية في المجال الفني الغنائي، من غناء وعزف على الآلات، وصياغة الألحان الموسيقية. ويؤكد ذلك ما أورده ابن حزم، أنه كان من بين

على قدر المكانة الفكرية للمرأة الأندلسية، التي شغلها إقبالها على التعليم، وتقبل المجتمع الأندلسي لذلك، وتدعيمه والتشجيع عليه، جاءت إسهاماتها في الجوانب الحياتية المختلفة



بخطها في عام ٣٩٤هـ، وفاطمة بنت أبي القاسم عبد الرحمن الشراط القرطبية (تُوفيت عام ٦١٣هـ)، أخذت عن أبيها قراءة نافع وختمت عليه بها القرآن أكثر من مرة، وسمعت منه كثيرًا، وحدث عنها ابنها أبو القاسم بن الطليسان، وقرأ عليها القرآن بقراءة ورش، وأجازت له بخطها. وابن حزم القرطبي المعلم، كان هو وابنه وابنته تجمعهم في تعليمهم دار واحدة، بما يشبه المدرسة لتعليم البنين والبنات.

شاركت المرأة الأندلسية كذلك في نسخ المصاحف والمخطوطات العلمية والفقهية والأدبية وأعمال الكتابة، وتعليم الأطفال. ونجد ابن حزم يشير إلى فضل النساء في تعليمه القرآن، والشعر، وتدريبه على الخط العربي. ويذكر ابن أبي الفياض أن نساء قرطبة كن ينسخن المصاحف بالخط الكوفي، ويذكر من بينهن البهاء بنت أمير الأندلس عبد الرحمن ابن الحكم، وعائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم (تُوفيت عام ٤٠٠هـ)، التي لم يكن في الأندلس في زمانها من يعدلها فهمًا وعلمًا وأدبًا وشعرًا وفصاحةً وعِفَّةً وَحَصَافَةً، وكانت حسنة الخط، وكتبت المصاحف والدفاتر، وفاطمة بنت زكريا بن عبد الله الكاتب المعروف بالشيلاري (تُوفيت عام ٤٢٧هـ)، كانت كاتبة متميزة، وظلت ٩٤ عامًا تنسخ الكتب كبيرة الحجم.

النساء في قرطبة كن ينسخن المصاحف بالخط الكوفي. وشاركن في أعمال الكتابة، وتعليم الأطفال القرآن وصناعة الغزل الذي يقارب الحرير

كما شاركت المرأة الأندلسية في إنتاج وصناعة عديد من المنتجات التطبيقية، وبخاصة المنسوجات والسجاد، وقد ذكر الزهري في حديثه عن مدينة المرية أنه يُصنَّع فيها كل شيء حسن، من الأثاث ومن جميع الأشياء المحكمة، وأن أهلها كلهم رجالًا ونساءً صُنَّاعُ بأيديهم، وأكثر صناعة نسائهم الغزل الذي يقارب الحرير في سماته.

في مجال الفن الموسيقي والغناء، نجد مدرسة علي بن نافع المعروف بزرياب، التي نبغت فيها حمدونة وعُلَيَّة ابنتاه، وجاريتيه متعة وكانت رائعة الجمال، أدَّهها وعلمها أحسن أغانيه، ومصاييح التي تعلمت على يد زرياب، وكانت حسنة الصوت. كما نجد قمر البغدادية، التي تميزت بالفصاحة والشعر والبيان، وبالجمال البار، ومعرفة صياغة الألحان الموسيقية، ومَرْجَان أم الحكم المستنصر بالله، وكانت أديبة ومغنية وشاعرة.

هذا وقد تميز عدد كبير من النساء بحظ وافر ومشاركة كبيرة في عدد من العلوم والمعارف العلمية والأدبية واللغوية، نجد من بينهن: قَلَمٌ؛ محظية الأمير عبد الرحمن بن الحكم، كانت مغنية بارعة الصوت، وصانعة للألحان الموسيقية، وخطاطة حسنة الخط، وأديبة، وراوية للشعر، وعلى معرفة بالتاريخ، ولُبْنِي؛ كاتبة الخليفة الحكم المستنصر بالله (تُوفيت عام ٣٧٤هـ)، كانت شاعرة، ومتقنة لحرفة الكتابة، مع حُسن الخط، وعلى دراية بعلوم النحو والحساب، ونظام الكتابة البليغة والمحبرة للرسائل، كانت بقصر الخلافة بقرطبة في عصر الخليفة هشام المؤيد بالله ابن الحكم المستنصر بالله.

في المجال الفقهي وعلوم الحديث النبوي، نجد فاطمة بنت يحيى بن يوسف المغمامي (تُوفيت بقرطبة عام ٣١٩هـ)، وكانت عالمة فقيهة، وغالبة بنت محمد المعلمة، كانت تروي عن أصبغ بن مالك الزاهد، وفخر المعلمة (تُوفيت عام ٣١٧هـ)، وخديجة بنت جعفر بن نصير بن التمار التميمي، حدثت عن زوجها عبد الله بموطأ القعني قراءة عليه، وقيدت سماعها

المرأة في الوثائق القبطية المبكرة: بين السيادة الاقتصادية والريادة الروحية



بقلم: د. رويدا أبوبكر محمد

مع الاعتراف بالمسيحية ديانةً رسميةً وانتشار الفكر الرهباني، شهدت مكانة المرأة تحولاً نوعياً وجذرياً؛ إذ فتحت المؤسسات الكنسية والرهبانية آفاقاً رحبة للدور الأنثوي تجاوزت بها الأطر المنزلية التقليدية. فقد أرسّت الكنيسة مبدأ المساواة الروحية بين الرجل والمرأة، وتجلّى ذلك بوضوح في تساوي الطرفين في نيل إكليل الاستشهاد، كما رُفِعت زوجات وأمّهات إلى مصاف القديسات، وحظيت تكريمات العذراء مريم بانتشار وشعبية واسعة النطاق.

وقد مثلت الحركة الرهبانية في مصر نقطة ارتكاز جوهرية في تاريخ المرأة القبطية؛ إذ لم يعد السعي نحو الفلسفة الحقيقية والزهد حكراً على الرجال دون النساء؛ فقد قدم القديس يوحنا الذهبي الفم شهادة تاريخية مهمة في شرحه لإنجيل متى، واصفاً مجموعات من النساء اللواتي اعتزلن في الصحراء وخضن غمار النسك ومجاهدة النفس والشيطان بذات القوة والعزيمة التي تميز بها الرهبان الرجال.



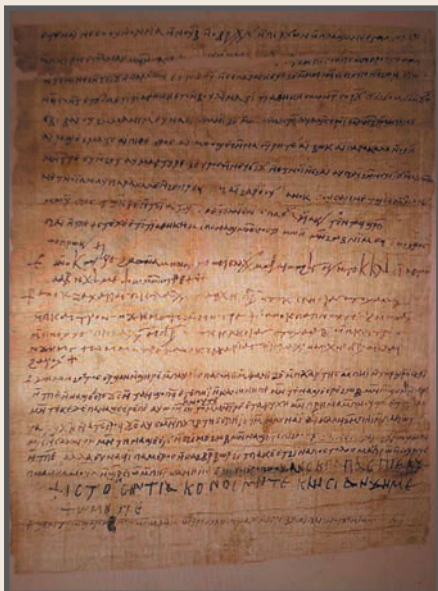
لم تكن المرأة في مصر خلال العصور القديمة المتأخرة مجرد عنصر هامشي في البناء الاجتماعي، بل كانت فاعلاً رئيسياً في صياغة المشهد الحضاري والروحي لتلك الفترة؛ إذ لم يقتصر دورها خلال الفترة المسيحية المبكرة على العمل الرعوي الصامت، بل برزت بوصفها حاملة لرسالة الخلاص وصوتاً نبوياً فاعلاً في المجتمعات المحلية. هذه الريادة النسائية في المجتمع القبطي لم تكن وليدة الصدفة، بل استندت إلى نموذج أرساه السيد المسيح -عليه السلام- نفسه؛ إذ كسر التقاليد الاجتماعية السائدة آنذاك بجعل النساء تلميذات وشريكات في رسالته الكرازية. وتبرز في هذا السياق المكانة الرفيعة للقديسة السيدة مريم العذراء -عليها السلام-، التي لا يُنظر إليها بصفقتها الأمومية فحسب، بل بصفقتها نبية صاغت نبؤات لاهوتية عميقة مهدت الطريق لظهور جيل من النساء «النبيات» في العصر الرسولي، وعلى رأسهن بنات فيليب (فليب المبشر) الأربع.

وفي ظل الظروف السياسية للقرون الأولى؛ إذ كانت المسيحية ديانة مضطهدة تُمارَس في خفاء بعيداً عن العلن والديانات الرسمية السائدة، أدت المرأة دوراً محورياً في نشر الإيمان داخل الأوساط النسائية والعائلية، وهي مساحات مغلقة كان يصعب على المبشرين الرجال اختراقها نظراً إلى القيود الاجتماعية. وبما أن المنزل كان يمثل المجال الحيوي والمهيمن للنساء، فقد استثمرن مهارتهن الإدارية والقيادية في رعاية ما عُرف بالكنائس المنزلية؛ حيث احتضنّ الجماعات المسيحية الأولى، وقَدَّمن نموذجاً مبكراً للقيادة الروحية والمجتمعية.

وعلى الصعيد المهني، مثلت المرأة العمود الفقري لصناعة المنسوجات والكتان -وهي الركيزة الاقتصادية لمصر آنذاك-، فقد تجاوز دورها الإنتاج المنزلي المحدود لتصبح مُورِّدًا رئيسيًا للأقمشة في الأسواق والأديرة، فضلًا عن انخراطها في أنشطة التجارة وإقراض الأموال. كما تبرز الوثائق دورها القيادي في إدارة الحيازات الزراعية والإشراف المباشر على عمليات الحصاد، وصولًا إلى قدرتها على التقاضي والدخول في منازعات قانونية أمام سلطات القرية دفاعًا عن حقوقها المالية. هذا الانخراط في المجال العام لم ينفصل عن دورها التكافلي؛ إذ كانت المحرك الأول لشبكات الرعاية الاجتماعية عن طريق الإسهام والتبرع بالصدقات الكنسية ورعاية الأيتام والأرامل والمرضى، مما جعل منها قوة اقتصادية واجتماعية لا غنى عنها، لفهم بنية المجتمع المصري وتوازنته في تلك الفترة الحرجة.

❧ مثلت المرأة العمود الفقري لصناعة المنسوجات والكتان حيث كانت مُورِّدًا رئيسيًا للأقمشة في الأسواق والأديرة ❧

ختامًا، يتضح لنا أن صورة المرأة في مصر المسيحية المبكرة لم تكن محصورة في الأطر التقليدية التي طالما رُسمت لها، بل كانت صورة حافلة بالتنوع والفاعلية؛ من الريادة الروحية والنبوة في العصور الرسولية، إلى السيادة الإدارية والتعليمية داخل الأديرة، وصولًا إلى الاستقلال القانوني والاقتصادي الذي كشفت عنه الوثائق. إن هذا الحضور النسائي لم يكن مجرد استثناء تاريخي، بل كان ركيزة أساسية في بناء المجتمع القبطي وتماسكه أمام تحديات العصور القديمة المتأخرة.



وقد أثبت انخراط النساء في هذا النمط من الحياة النسكية والأديرة، أن الاستنارة الروحية والجهاد الرهباني في البرية كان مسارًا مفتوحًا أمام الجنسين على حدٍ سواء، مما أضفى صبغة من الشمولية على الحركة الرهبانية المصرية في بداياتها.

مع مطلع القرن الرابع الميلادي، وتحديدًا مع تأسيس القديس باخوميوس لأول دير مستقل للراهبات تحت إشراف شقيقته ماربيا، بدأت تتشكل الملامح الأولى لما يمكن وصفه بالولاية الأنثوية داخل المؤسسة الرهبانية. ففي هذه المجتمعات، برزت مكانة الأم (ΔΜΑ) كقوة قيادية، لم تقتصر صلاحياتها على الإرشاد الروحي فحسب، بل امتدت لتشمل الإدارة التنظيمية لشؤون الدير كافة: الحياتية والاقتصادية. وبالتوازي مع هذا الدور، اضطلعت النساء بمهام كنسية محورية عبر رتبة الشماسات، اللواتي أدّين دورًا طقسيًا واجتماعيًا وسيطًا، لا سيما في معاونة الأساقفة خلال طقوس تعميد النساء، مما عزز من حضورهن في البناء الهيكلي للكنيسة.

علاوة على ذلك، اضطلعت الأديرة النسائية بدور المؤسسات التعليمية الأولى في المجتمع القبطي، وتُعدُّ الشواهد الجدارية في دير باويت (دير أبا أبولو) دليلًا أثرّيًا دامغًا على ذلك؛ إذ تظهر الراهبات وهن يحملن الكتب، في إشارة رمزية تعكس حيازتهن للمعرفة والسلطة الروحية، وقدرتهن على الاضطلاع بمهام التدريس للأجيال الناشئة داخل الدير. هذه المعطيات تؤكد في مجملها أن الأديرة لم تكن مجرد صوامع للتعب، بل استحدثت ككيانات اجتماعية واقتصادية متكاملة، منحت المرأة القبطية مساحة من الاستقلالية والسيادة والتمكين المعرفي لم تكن متاحة لها في ثنانيا المجتمع المدني التقليدي آنذاك.

❧ تظهر الشواهد الجدارية في دير باويت الراهبات وهن يحملن الكتب، في إشارة رمزية تعكس حيازتهن للمعرفة ❧

وبعيدًا عن الأروقة الدينية، كشفت الشواهد الوثائقية عن حضور اقتصادي راسخ ومستقل للمرأة المسيحية في مصر؛ فلم تكن مجرد عنصر تابع في المنظومة الاقتصادية، بل تمتعت بذمة مالية مستقلة. وتشير النصوص البردية إلى تنامي الاستقلال القانوني للمرأة منذ القرن الرابع إلى نهاية العصور القديمة المتأخرة، مما مكّنها من ممارسة الأهلية القانونية في إبرام عقود البيع والشراء، وحيازة العقارات والأراضي، وإدارة الأوقاف والمواثيق دون الارتهاق الدائم بوصية الرجل، وهو تحوُّل جوهري يعكس نضوج مكانتها القانونية والاجتماعية.

«بلقيس الثانية» الملكة الحرة سيدة بنت أحمد.. أول ملكة في التاريخ الإسلامي



بقلم: د. محمد حمدي

إن تتبع سيرة ومسيرة الملكة الحرة سيدة بنت أحمد يكشف لنا كثيرًا عن حياة استثنائية لامرأة أُعدت إعدادًا خاصًا منذ أن كانت طفلة، كي تصبح ملكة، ما زال أهل اليمن يتذكرونها إلى اليوم رغم مرور أكثر من ٩٠٠ عام على رحيلها، فقد وُلدت عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م لأب كان مبعوثًا خاصًا للأمير علي بن محمد الصليحي؛ مؤسس الدولة الصليحية في اليمن (٤٣٩-٥٣٣هـ/ ١٠٤٧-١١٣٩م)، لكن والدها تُوفي وهي صغيرة، فتولت تربيتها السيدة الحرة أسماء بنت شهاب؛ زوجة الأمير علي الذي كان يوصي زوجته بها دائمًا، وعندما كبرت وبلغت الثامنة عشرة من عمرها، زوّجها ابنه المكرم أحمد الذي تولى الحكم في ظروف استثنائية بعد مقتل والده على أيدي خصومه.

عند تصفح كتب التاريخ الإسلامي يتوقف المرء كثيرًا أمام بعض الشخصيات التي تركت بصماتها في حياة الشعوب والمجتمعات، خاصة إذا كانت شخصية نسائية أدت دورًا في تاريخ مجتمعها؛ إذ تكشف هذه الحالات مقدار ما وصلت إليه المرأة في ظل الحضارة الإسلامية، وكيفية تنشئتها من الناحية التعليمية والفكرية والدينية؛ كي تستطيع الاضطلاع بالمهام الموكلة إليها تجاه أسرتها ومجتمعها. وتزخر كتب التاريخ الإسلامي بأمثلة من النساء المؤثرات في التاريخ، خاصة اللاتي برز دورهن في مجتمعات ذات طبيعة خاصة، أو تصدرن المشهد في أوقات عصيبة، أو كان لهن دور في تغيير مصير الدول والشعوب.

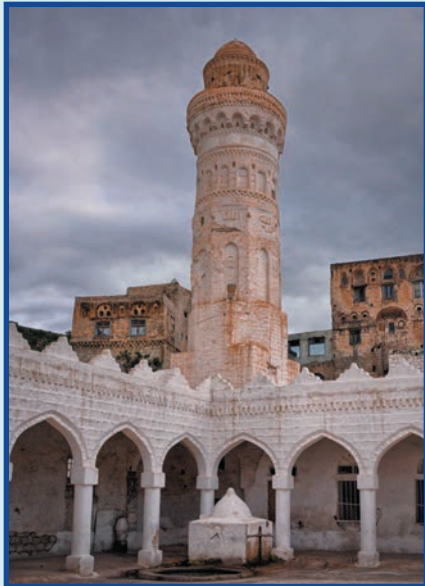
وتُعد الملكة الحرة سيدة بنت أحمد مثالًا على ما بلغته المرأة في الحضارة الإسلامية من مكانة، وفي كيفية صناعة شخصية مؤثرة أيضًا؛ فقد نشأت في بلاد اليمن بموروثه القبلي المعروف، وتولت الحكم في فترة عصيبة كانت تمر بها دولتها، وتمذهبت بمذهب شديد التحول الفكري، ضاربة لنا مثالًا عن قوة المرأة وكيفية نجاحها في القيادة والتوجيه. لذلك، لا غرو أن يُطلق عليها اسم «بلقيس الثانية» تشبيهًا لها بالملكة بلقيس؛ ملكة مملكة سبأ اليمنية التي خلد القرآن الكريم ذكرها في العالمين.

يُطلق عليها اسم «بلقيس الثانية» تشبيهاً لها بالملكة بلقيس؛ ملكة مملكة سبأ اليمنية التي خلد القرآن الكريم ذكرها في العالمين

«حسبي بني الصليحي ما علموه من أمر مولانا الطيب»، وأعلنت بذلك استقلال الدولة الصليحية في اليمن عن سلطة الحافظ لدين الله في مصر، ومعه انقسمت الدعوة الفاطمية إلى طيبيه وحافظية.

”منحها الأمر بأحكام الله رتبة «الحجة»، وهي أعلى مرتبة دعوية نالتها امرأة في تاريخ الدعوة الفاطمية“

ويظهر التعمق في تاريخ الملكة الحرة في أنها خضعت منذ طفولتها لتنشئة خاصة كانت تهدف إلى أن تكون ركيزة قوية للدولة الصليحية؛ فقد تولى رعايتها مؤسس الدولة، وزوجها لابنه وولي عهده المكرم أحمد، فكانت سنداً قوياً له ومستشارة مقربة منه، وتمكّنت من إدارة شئون الحكم في ظل تعقيدات وعادات قبلية اشتهر بها اليمن. وعندما أتيحت لها الفرصة لتولي الحكم كأول امرأة تشغل هذا المنصب في تاريخ الإسلام، تجلّى تأثيرها السياسي والمذهبي تجلياً واضحاً في مجال الدولة والدعوة الفاطمية.



هنا برزت الملكة الحرة داعمة لزوجها الذي أصابه مرض الفالج وأعجزه عن ممارسة مهام الحكم، فكانت له ناصحة ومعينة، وتجلت عبقريتها وحكمتها السياسية حين نصحت زوجها بنقل عاصمة دولته من صنعاء؛ حيث القبائل المتمرسية في مناكفة الحكام، إلى مدينة ذي جبلة التي كان سكانها من الرعاة والمزارعين المسالمين.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن الملكة الحرة اضطلعت بممارسة مهام الحكم خلال حياة زوجها، وكانت محل تقدير من قبل حكام الدولة الفاطمية في مصر الذين كان يدين لهم الصليحيون في اليمن بالولاء السياسي والمذهبي، لذلك عندما تُوفي زوجها عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م لم تجد صعوبة في أن تحصل على موافقة الفاطميين على تولي ابنها «علي» الحكم تحت وصايتها. وبعد وفاته أصبحت الملكة الحرة الحاكمة الفعلية لليمن دون منازع، فتمكّنت من إدارة البلاد وترسيخ سلطتها بمساندة نخبة من الموالين لها وللدعوة الفاطمية.

كانت الملكة الحرة على ولاء تام للدولة الفاطمية في مصر، وقد تجلّى ذلك عند وفاة أبرز قادة دولتها؛ إذ بعثت برسالة إلى الوزير الأفضل شاهنشاه (ت. ٥١٥هـ/ ١١٢١م) تشرح فيها ما آل إليه وضع اليمن من اضطراب وتطلب المساعدة؛ فاستجاب لها الأفضل، وفي عام ٥١٣هـ/ ١١١٩م أرسل إلى اليمن القائد ابن نجيب الدولة (ت. ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م)، ومعه عشرون فارساً لمساندتها ودعم سلطتها، ولكن ابن نجيب الدولة طمع في الملك وحاول إقصاءها، فزعم أنها قد شاخت وفقدت أهلية الحكم، وطالب بالحجر عليها. غير أن الملكة الحرة واجهت تلك الادعاءات بحزم، فجمعت أنصارها من زعماء القبائل، ورفضت الحصار على ابن نجيب في مدينة الجند عام ٥١٩هـ/ ١١٢٥م، مما اضطره في النهاية إلى الاستسلام وتقديم الاعتذار لها في ذي جبلة، وهو ما يؤكد حنكتها السياسية وقدرتها على التأثير في القبائل في اليمن، وهو أمر عظيم بمقاييس هذا الزمان. فقد ارتضت القبائل أن تنزل لحكم امرأة تقديراً وإجلالاً لها.

لم تكن الملكة الحرة حاكمة لليمن فحسب، بل نالت تقدير حكام الدولة الفاطمية، فترقّت في مراتب الدعوة الإسماعيلية الفاطمية حتى بلغت قممتها، وقد منحها الأمر بأحكام الله رتبة «الحجة»، وهي أعلى مرتبة دعوية نالتها امرأة في تاريخ الدعوة الفاطمية. وكان لمنصبها الديني الأثر الأكبر في تأدية دور كبير في التحول الفكري في الدعوة الفاطمية؛ إذ رفضت إقصاء الطيب بن الأمر بأحكام الله من منصب الإمامة لصالح ابن عم والده الحافظ لدين الله، قائلة قولتها الشهيرة:



BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الإسكندرية

